الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العقيد أكلي محند أولحاج-البويرة-
كليّة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي
التّخصّص: أدب عربي حديث ومعاصر

Ministre de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj -Bouira-
Tasadawit Akli Muhend Ulhag - Tubirett-
Faculté des lettres et des *lan*gues

جامعة البويرة

الرؤية الفلسفية في قصائد سميح القاسم الاخيرة

مذكّرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إعداد الطالبتين:
- احلام العارف
- ياسمين شتيح

إشراف الأستاذ:
بوعلام العوفي

لجنة المناقشة

د/ قادة يعقوب	جامعة البويرة	رئيسا
أ/ بوعلام العوفي	جامعة البويرة	مشرفا ومقررا
أ/ رشيدة عابد	جامعة البويرة	ممتحنا

السّنة الجامعيّة : 2022/2021

كلمة شكر وعرفان

الحمد والشكر لله الذي بفضله أتممنا هذا البحث.

تحية شكر وعرفان لكل من علمني حرفًا من بحور العلم منذ بداية مشواري الدراسي

إلى يومنا هذا.

تحية شكر خاصة للأستاذ المشرف العوفي بلام الذي لم يبخل علينا بعلمه في إثراء

هذا البحث، وبذل مجهودا كبيرًا في تقديم النصائح والتوجيهات لإتمام هذا العمل

المتواضع. بارك الله في مجهوده وجعله في ميزان حسناته.

والشكر موصول لكل أساتذتي في كلية الآداب واللغات لجامعة البويرة.

أحلام العارف

ياسمين شتيح

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى كل من كان لهم الفضل في كل خطوة أخطوها في حياتي أمي وأبي حفظهما الله وأطال عمرهما.

إلى أعز خلق الله على قلبي إخوتي وأخواتي.

إلى من جمعتني بهن مقاعد الدراسة وأصبحن أفضل صديقاتي (ريمة، إيمان، لبنى) وصديقتي التي شاركتني هذا العمل ياسمين.

احلام

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى نبع الحنان ومشجعتي الأولى إلى من وقفت بجانبي وقت الضعف إلى من سهرت معي أمي الحبيبة. كما أشكر أبي العزيز رمز العطاء ومشجعي الثاني الذي ساعدني في كل مراحل حياتي سواءً معنويا أو ماديا. وأهدي هذا العمل إلى إخوتي سمير و مصطفى وأختي الصغيرة مروى. وإلى عائلتي التي حملتُ إسمها عائلة «شتيح» كبيرًا وصغيرًا.

وأحيي وأهدي إلى صديقاتي اللواتي وقفوا بجانبنا أثناء انجاز هذا العمل ريمة،لبنى،إيمان .

وأهدي إلى من تقاسمت معي هذا العمل صديقتي الاولى أحلام التي سهرت، وتعبت وثابرتإلى ساعات متأخرة،والتي لن ولم أجد كلمات معبرة أشكرها فيها وأحيي طيبة قلبها وصدق قولها ، وأشكر الجامعة التي جمعتنا وحولتها لصداقة في الدراسة وخارجها.

وكما أشكر كل طاقم إدارة قسم اللغة والادب العربي وكل حراس أمنها وأساتذتها الكرام على كل جهودهم وتعبهم.

ياسمين

خطة البحث

مقدمة

مدخل: الفلسفة والشعر

1-مفهوم الفلسفة

2-مفهوم الشعر

3-علاقة الشعر بالفلسفة

4-مفهوم الرؤية

الفصل الأول: القضايا الفلسفية في القصائد الأخيرة لسميح القاسم.

المبحث الأول: قضية الوجود والمصير الإنساني.

1-مفهوم الوجود

2-الوجود في الشعر العربي

3-تجليات الوجود في القصائد الأخيرة لسميح القاسم

المبحث الثاني: الزمن والمكان في القصائد الأخيرة لسميح القاسم.

1-الزمن

1-1-مفهوم الزمن

1-2- الزمن في الشعر العربي

1-3- تجليات الزمن في القصائد الأخيرة لسميح القاسم.

2-المكان

2-1- مفهوم المكان

2-2-المكان في الشعر العربي

2-3- تجليات المكان في القصائد الأخيرة لسميح القاسم

المبحث الثالث: الموت في القصائد الأخيرة لسميح القاسم

1-مفهوم الموت

2-الموت في الشعر العربي

3-تجليات الموت في القصائد الأخيرة لسميح القاسم

الفصل الثاني: التصوير الفني وتشكيل رؤية الشاعر

المبحث الأول:الصورة الشعرية

1-تعريف الصورة

2-الصورة التشبيهية

3-الصورة الإستعارية

المبحث الثاني: الرمز والصورة

1-تعريف الرمز

2-علاقة الرمز بالصورة

3-الرمز الديني

4-الرمز الأسطوري

5-الرمز الذاتي

خاتمة

مقدمة

مقدمة

تعتبر الفلسفة المنبع الأول لكل العلوم وتشمل مختلف المجالات بالإشكاليات والتساؤلات التي تطرحها حول الكون عامة والإنسان خاصة باعتباره كائنا يتميز بالعقل يبحث في الخلق والكون، كما أنها تكشف الحقائق التي يتصورها الإنسان ويطرح عليها تساؤلات متعددة عبر العصور خاصةً ما يتعلق بقضية الموت والحياة، فكلها تساؤلات طرحها العقل البشري سواء بطريقة فلسفية، أو فنية على شكل قوالب أدبية. فكان للشعر الأولوية في التطرق لهذه القضايا منذ القِدم مع نخبة من الشعراء القدامى أمثال زهير ابن أبي سلمى وامرئ القيس، والنابغة وعمرو بن كلثوم، وعمرو بن قميئة والمعري وغيرهم من الشعراء.

واستمرت الفلسفة بالحضور في الشعر العربي الحديث والمعاصر مع شعراء عالجوا قضايا العصر،أمثال نازك الملائكة، وبدر شاكر السياب، ومحمود درويش، وأمل دنقل وغيرهم من الشعراء وفي طليعتهم الشاعر الفلسطيني سميح القاسم الذي عبَّر في قصائده عن تلك القضايا الفلسفية برؤية فنية متميزة طرحها بصورة جميلة في أشعاره. ولهذا سنتطرق إلى دراسة القصائد والمقاطع الشعرية التي أبدع فيها الشاعر في السنوات الأخيرة من حياته، حيث برزت الرؤية الفلسفية بشكل واضح في شعره،وخاصة في المرحلة الأخيرة من حياته أي بعد مرضه، حيث أصبح أكثر اهتماما بموضوع الموت وبالأسئلة الفلسفية الكبيرة.

ولأجل ذلك انطلقنا من إشكالية أساسها مجموعة من التساؤلات وهي:

ما هي الفلسفة؟ وما علاقتها بالشعر وإلى أي حد تخدم الشعر؟

ما هي أهم القضايا الفلسفية التي تناولها سميح القاسم شعريا في قصائده الأخيرة؟

كيف طرح هذه القضايا فنيا وجماليا؟

وانطلاقا من هذه الإشكالية حاولنا تقديم بعض الإجابات من خلال مذكرتنا المسومة ب (الرؤية الفلسفية في القصائد الأخيرة لسميح القاسم). ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع الكشف عن أهم القضايا الفلسفية التي شغلت الشعراء المعاصرين، ومنه شاعر الأرض المحتلة سميح القاسم. فضلا عن الأسباب الذاتية التي تتمثل في اهتمامنا بالشعر العربي المعاصر عامة وبالشعر الفلسطيني خاصة.

وتأسيسا على ما سبق اعتمدنا على خطة تتكون من مدخل وفصلين وخاتمة.

تحدثنا في المدخل عن مفهوم الفلسفة ومفهوم الشعر وعلاقة الفلسفة بالشعر، وكذا مفهوم الرؤية، وهي المصطلحات المشكلة لعنوان البحث.

ثم انتقلنا إلى الفصل الأول فتناولنا فيه أهم القضايا الفلسفية التي كتب الشاعر عنها وظلت تؤرقه إلى أن فارق الحياة.

بينما خصصنا الفصل الثاني لدراسة الجانب الفني في هذه القصائد والأدوات الفنية التي استعملها الشاعر للخروج عن المألوف وتحقيق الدهشة والمتعة الجمالية. فكان لسميح القاسم تَفَوُّقُه وطريقته الخاصة في توظيف الصورة الشعرية تشبيهاً واستعارةً ورمزًا.

وجاءت الخاتمة لرصد أهم النتائج التي أفضى إليها البحث. ثم ختمنا البحث بملحق وهو عبارة عن مجموعة من القصائد التي جمعناها من هنا وهناك وشكلت مدونة البحث.

أما المدونة التي تشكل مجالنا الحيوي في هذا البحث فتتمثل في القصائد الأخيرة التي كتبها سميح القاسم وهو يصارع المرض، وقد بذلنا جهودا مضنية للحصول عليها، ولكن خاب رجاؤنا حيث باءت كل محاولاتنا واتصالاتنا بالفشل، فهي لم تدخل بعد إلى الجزائر سواء إلى المكتبات العمومية أو الخاصة، فاضطررنا إلى تسجيل بعضها بصوت الشاعر نفسه من خلال الأمسيات التي شارك فيها هنا وهناك بالمشرق العربي والمسجلة في بعض قنوات اليوتيوب، فضلا عن تحميل بعض المقاطع من المواقع الإلكترونية. وبذلك تشكلت لدينا المدونة التي اشتغلنا عليها.

واعتمدنا أيضا في هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع التي نراها ضرورية لإنجاز هذه المذكرة. منها معجم لسان العرب لابن منظور والقاموس المحيط للفيروز أبادي للتعريفات اللغوية للمصطلحات،والرمز والرمزية لأحمد محمد فتوح، وفن الشعر لأرسطو، والموسوعة الفلسفية العربية لمعن زيادة، والشعر العربي المعاصر لعز الدين إسماعيل، وغيرها من المصادر والمراجع التي كان لها أهمية لا تنكر في تيسير وتسيير عملية البحث.

مدخل

الفلسفة والشعر

1-مفهوم الفلسفة

إن لفظة الفلسفة (Philosophy) أو فيلسوف هو مصطلح يوناني قديم وهو معرب عن الكلمة اليونانية فيلوسو فيا،وانقسمت إلى قسمين:فيلو (philo)تعني محب أو محبة،أما كلمة سوفيا (sophy)تعني: الحكمة،والكلمة ككل أو الفلسفة معناها هو محب أو محبة الحكمة. أما سوفوس معناها حكيم مما سمي محب الحكمة فيلسوف[1].

وأول من وضع كلمة فيلسوف هو سقراط أبو الفلسفة الذي يرى أنه من غير المناسب أن يسمى حكيما،فمن وجهة نظره الحكيم صفة يتميز بها الإله وهو ليس كذلك،لهذا سَمَّى نفسه باسم مخالف، فعندما:«جاء سقراط وجد من الغرور أن يسمي نفسه حكيما فأطلق على نفسه اسم فيلسوف أي محب الحكمة،على سبيل التواضع،ليميز نفسه عن طائفة السفسطائيين المتاجرين بِالحكمة[2]».

من خلال هذين التعريفين، ندرك أن بداية الفلسفة ظهرت مع اليونانيين الذين اعتنوا بها وحاولوا تحديد مفهومها، لكنهم اختلفوا في تعريفاتها بسبب اختلاف مذاهبهم وآرائهم.

لقد أحدثت الفلسفة تغييرا كبيرا عند الأمم التي درستها وبحثت في مشكلاتها،ومن مميزات الفلسفة أنها عميقة،وقد وردت في الكثير من العلوم والفنون،غير أنه يُجهل من أين بدأت الفلسفة؟ ومن الذي وضعها؟ فقد اختلف النقاد والباحثون في ذلك،وتذهب أميرة حلمي مطر في كتابها "الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها" إلى القول: «ليست الفلسفة حديثا حافلا بالغموض تثير مشكلات لا علاقة لها بالواقع ولا هي كنز من الأسرار يستعصي على العقل فهمه،ولكنها مرشد للفكر يشحذه

[1]- ينظر: محمد عبد الرحمان مرحبا، مع الفلسفة اليونانية، منشورات عويدات، ط3، بيروت- باريس،1988، ص29.

[2]-نفسه، ص29.

الإبداع ويلقي الأضواء على كثير من الأفكار والتي يسلم بها أكثر الناس تسليما بغير نقد ولا اختبار[1]».

والفلسفة قد اختص بها اليونانيون ونُسِبَت إليهم عبقرية العقل اليوناني وذلك انطلاقا من رؤيتهم أن الفلسفة ما هي إلا محبة الحكمة،ورغم الإقرار بأن الفلسفة يونانية إلا أن عبد الرحمان مرحبا يرى أن الفلسفة تطرق إليها الشرقيون،غير أن تفكيرهم لم يكن شاملا مثل اليونانيين فيقول:«ليس معنى هذا أن الأمم الشرقية خلت من كل تفكير فلسفي وتمحيص عقلي، كلا فقد كان لدى الشرقيين عناصر هامة من التفكير الفلسفي والحكمة العقلية ،لكن هذه العناصر لم ترتق إلى مستوى البحث النظري والرؤية الشاملة الكلية،بل ظلت محجوبة بسحب كثيفة من المذاهب الدينية والأساطير الشعبية،والاهتمامات العملية .فضلا أنها كانت مفككة مقطعة الأوصال[2]».

من هنا يتطرق عبد الرحمان بدوي إلى الفلسفة الشرقية التي كان لها تفكير وحكمة إلّا أنها بقيت محصورة ومغلقة على نفسها بسبب كثرة المذاهب الدينية ولم ترتق إلى مستويات أكثر دقة وظلت متفرقة فيما بينها، فلكل مذهب ديني فلسفته التي يختلف بها عن الآخر لذا لم تتضح في أفكارها وأقوالها.

[1]- أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء للطباعة والتوزيع، طبعة جديدة، القاهرة،1998 ص9

[2]- عبد الرحمان مرحبا، مع الفلسفة اليونانية، منشورات عويدات، ط3، بيروت/ باريس، 1988، ص59.

2-مفهوم الشعر

2-1-لغة

لقد عُوف العرب بنظم الشعر منذ العصر الجاهلي واِستمر ذلك حتى بعد انتشار الإسلام،وبما أن هذا الدين جاء ليتمم مكارم الأخلاق، فقد أُبقى على الشعر الجيد الذي يخدم المجتمع والدعوة الإسلامية وكانت أشهر قصيدة كتبت في مدح النبي صلى الله عليه وسلم قصيدة البردة،لِذا كان هذا الشعر محطّ اِهتمام كثير من الدارسين الذين قدموا له تعريفات كثيرة في المعاجم اللغوية، والشعر عند ابن منظور في مادة شعر: « شعر به وشعر ، يشعر، شعرا، وشعرا وشعرة ومشعورة، وشعورا وشعورة، وشعرى ومشعوراء ومشعورا، الأخيرة عن اللحياني، كله : علم وحكى اللحياني عن الكسائي: ما شعرت بمضعوره حتى جاء فلان، وحكي عن الكسائي أيضا : أشعر فلانا ما عمله، وأشعر لفلان ما عمله ...وليت شعري أي ليت علمي أو ليتني علمت ، وليت شعري من ذلك أي ليتني شعرت[1]».

إلاّ أنّ كل هذه التعريفات تدور بين مفهومين أحدهما يعني به الكلام المنظوم المتميز بالوزن والقافية،أّما الثاني فيعتبره علما كون الشاعر عالما بأشياء تغيب عن الآخرين لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره وهذا ما صرَّح به ابن منظور في لسان العرب حين قال أنّ: «الشعر منظوم القول، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية،وإن كان كل علم شعرًا من حيث غلب الفقه على العلم ...والجمع أشعار،وقائله شاعرٌ لأنّه يَشعُرُ ما لا يشْعر غيره أي يعلم ...وسمي شاعرًا لِفطْنتِهِ[2]».وفي تعريف ابن رشيق نلاحظ أنه يضيف إلى تعريف ابن منظور للشعر عنصر الإبداع، فالشاعر رغم فطنته وشعوره بما لا يشعر به غيره إلاّ أّنه لا يمكن ا عتبار شِعْره شعرًا حين

[1] - ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، م 04، مادة شعر، ص 409.

[2] -نفس المرجع السابق، ص410 .

يغيب الإبداع في اللفظ والمعنى حتى وإن توفرت فيه كل أركانه من وزن وقافية و هذا ما أكّده ابن رشيق حين قال:«وإنما سمي الشاعر شاعرًا،لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره،فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه،أو استظراف لفظ وابتداعه،أو زيادة فيما أجمل فيه غيره من المعاني، أو نقص مما أطاله سواء من الألفاظ،أو صرف معنى إلى وجه عن وجه آخر ،كان اسم الشاعر عليه مجازًا لا حقيقة ،ولم يكن له إلاّ فضل الوزن،وليس بفضل عندي مع التقصير[1]».

إذن،فالشعر رغم تعدد تعريفاته يبقى كلاما موزونا ومقفى قاله أو كتبه الشاعر ليعبر به عما يجول بخاطره شرط أن يتحلى الشاعر بعنصر الإبداع فالشعر لا يعتبر شِعرًا دون إبداع.

2-2-اصطلاحا: أّما عن مفهوم الشعر الاصطلاحي فهو لا يختلف كثيرًا عن المفهوم اللغوي فمعظم النقاد يعرفونه على أنه قول موزون ومقفى ذو معنى. ففي تعريف قدامة بن جعفر ورد قوله بأنه:«قول موزون ومقفى يدل على معنى[2]»، والوزن هو الركن الأساسي للشعر ففي نظر الفارابي الكلام إن لم يكن موزونًا لا يعد شعرًا وهو ما أكده في قوله:« إن الشعر إذا خَلاَ من الوزن بَطُلَ أن يكون شعرًا والأصح أن يـُسمى ذلك قولاً شعريًا[3]».

أما ابن سينا فيُضيف في تعريفه للشعر عنصر الخيال، ولكن دون الاستغناء عن الوزن والقافية فيقول:«الشعر كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية وعند العرب مقفاه[4]».

---

[1]-علي شلش، في عالم الشعر، دار المعارف، القاهرة،1978، ص12.

[2]-قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: الدكتور محمد بن المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د ت ، ص64.

[3]- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة بيروت-لبنان، 1971، ص219.

[4]-نفس المرجع السابق، ص 412.

ويعرف جان كوهين في كتابه بنية اللغة الشعرية:«الشعر بأنه ليس علما بل هو فن، والفن شكل وليس شيئا آخر غير الشكل[1]».فالشعر فن وهذا الفن يتجسد في الشكل.

أما الشعر لدى جاكبسون فإن: «الشعر هو التشديد على المرسل لحسابها الخاص[2]»، فهو يرى أن الشعر هو الرسالة التي يرسلها.

كما أن جاكبسون يرى أن الشعر يتغير بتغير أحوال الناس وأخبارهم عبر العصور وهذا ما أكد عليه في اخباره حول مفهوم الشعر:«لقد أسلفت القول إن محتوى مفهوم الشعر غير ثابت وهو يتغير مع الزمن[3]».

2-3-مفهوم الشعر عند اليونان

2-3-1-عند أرسطو

يربط أرسطو الشعر بالمحاكاة حيث يقول في كتابه فن الشعر: « الشعر الذي هو محاكاة والمحاكاة هنا معنى أرسطيا جديدا يجعل العملية الشعرية ليست مجرد نسخ وتقليد حرفي وإنما هي رؤية إبداعية يستطيع الشاعر بمقتضاها أن يخلق عملا جديد من مادة الحياة والواقع ،طبقا لما كان ،أو لما هو كائن، أو لما يمكن أن يكون، أو كما يعتقد أنه كذلك، وبهذا تكون دلالة المحاكاة ، ليست إلا (إعادة خلق)».[4]

---

[1] -جان كوهن، بينة اللغة الشعرية، تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، ط01، الدار البيضاء، المغرب، 1986، ص 46.

[2] -فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط01، بيروت، لبنان، 1993، ص 75.

[3] -رومان ياكبسون، القضايا الشعرية، تر: محمد الوالي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، ط01، الدار البيضاء، المغرب،1988، ص 19.

[4] -أرسطو، فن الشعر، تر: إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو مصرية، د ط، د ت، ص 25.

ومن هنا نرى أن أرسطو يؤكد أن المحاكاة في الشعر هي ليست نقلا حرفيا للطبيعة بل هو يعكس الواقع، فالشاعر يصنع مما حوله في الطبيعة شعرا جيدا.

لقد جعل أرسطو المحاكاة هي أساس الشعر، حيث يرى أنَّ«ما يصنع الشعر ليس الوزن والموسيقى، وإنما عنصر المحاكاة،فالشعر عنده ليس الوزن والموسيقى، وإنما عنصر المحاكاة،فالشعر عنده ليس الوزن وإنما هو التمثيل والتشبيه والاستعارة أي أنه تفطن إلى شعرية القصيدة وكأنه مهد للشعر الحر الذي لا يعترف بالوزن والقافية. »[1]، وبذلك يكون أرسطو على صواب في رأيه، فالشعر الحر منذ ظهوره مع نازك الملائكة تخلى عن القيود الشعرية المعروفة في العصور السابقة ومنها وحدة الوزن والقافية.

أما الشعر من الناحية الأخلاقية، فهو يتبنى موقفا يرى فيه أن الشعر نافع ولا يحمل أي ضرر، فهو وسيلة لتطهير النفس من الضغوطات، الأمر الذي دفع به إلى« الدفاع عن الشعر على أساس من الفلسفة، و حاول أن يفرد له ميدانًا خاصًا بين ميداني التاريخ والفلسفة»،[2]والمحاكاة بالنسبة إليه ليست وصفَ الواقع عن طريق التشبيه والتمثيل، وإنما هو تصوير الواقع كما هو دون زيادة أو نقصان، فالمحاكاة في رأيه«نظرية فنية لا تكتفي بالعودة إلى الواقعي والتلميح إليه بل تتدرج فيه»[3]، فجعل أرسطو الفعل جوهر المحاكاة وارتقى بها من مرتبة التقليد الأصم للطبيعة إلى مرتبة الإبداع الحي،وبذلك جعل الشعر أفضل تعبير عن مكنونات الطبيعة الإنسانية.

[1] - مديونة صليحة، نظرية المحاكاة بين الفلسفة والشعر (أطروحة الماجستير)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر،2005-2006، ص62.

[2] - المرجع السابق،ص 62.

[3] - ينظر، المرجع السابق، ص63.

أما بالنسبة لعلاقة الشعر بالفلسفة فقد ِاعتبر الشعر من أقرب الفنون الفلسفية وجعلها في أعلى الدرجات حيث«وضع الفلسفة في المقام الأول ويقيس الفنون بحسب قربها من ذلك المقام لكنه جعل ا لشعر مقاًما عالًيا إلى جوارها، والشاعر عنده هو ذلك الذي يحاكي الأفعال[1]».

2-3-2-عند أفلاطون

لقد سبق أفلاطون تلميذه أرسطو في رؤيته للشعر والمحاكاة ولكن ِاختلفت آراؤهما. فقد اعتبر أفلاطون الشعر محاكاة، ولكن المحاكاة بالنسبة له محاكاة للمحاكاة فالرسام حين يحاكي شجرة من الواقع ويرسمها فهو يحاكي الواقع الذي هو محاكاة لعالم المثل ، فأفلاطون يقسم العالم إلى ثلاث دوائر«دائرة المثل والمدركات العقلية وهي دائرة الحقائق الكلية ، ودائرة العالم المحسوس أو الطبيعة وما يتصل بها من الإنسان وعواطفه وأحاسيسه، وكل شيء في هذه الدائرة الثانية محاكاة أو صورة لمثاله في الدائرة الأولى ثم دائرة الفنون والشعر وكل مافيها محاكاة وتقليد لدائرة ، فالفن شعرا وغير شعر ليس إلا محاكاة للمحاكاة[2]».

أما منظوره للشعر من الناحية الأخلاقية، فيرى أن «الشعر يفسد الأخلاق[3]»، ويبتعد كل البعد عن الواقع عكس أرسطو الذي يراه فنا يساعد على تطهير النفس.

كما يجعل أفلاطون الشعر بعيدا كل البعد عن الفلسفة التي جعلها في المرتبة الأولى والشعراء في المرتبة السادسة ضمن الحرفيين والصناعيين والسياسيين وغيرهم[4].

---

[1]-مديونة صليحة، نظرية المحاكاة بين الفلسفة والشعر ، ص64.

[2]-شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، ط:6، القاهرة ، 1962، ص15.

[3]-مديونة صليحة، نظرية المحاكاة بين الفلسفة والشعر، ص62.

[4]- ينظر: نفس المرجع السابق، ص64.

2-4-مفهوم الشعر عند الفلاسفة المسلمين

بما أنّ هناك تأثرا كبيرا من قِبل المسلمين باليونانيين في مختلف المجالات فقد ظهر هذا التأثر في الشعر أيضا،حيث اعتبر ابن سينا،وابن رشد والفارابي غيرهم الشعر محاكاة أو بمعنى أصح المحاكاة عمودَ الشعر أو أساسَه.

2-4-1-مفهوم الشعر عند ابن سينا

يرى ابن سينا أن ظهور الشعر يعود إلى سببين أولهما يعود إلى حب تمثيل الأشياء أو التشبيه والسبب الثاني هو الإبداع والإختراع خاصة ما يتعلق باللفظ، وفي هذا الصدد يذهب إلى القول أن«السبب المولد للشعر في قوة الإنسان شيئان: أحدهما الالتذاذ بالمحاكاة واستعمالها منذ الصبا ... والسبب الثاني حب الناس للتأليف المتفق والألحان طبعا[1]» أما في ما يخص المحاكاة فهو لا يعتبرها نقلا للواقع كما هو بل التمثيل له فقط، وهذا التمثيل-التشبيه-قد يكون صادقا مطابقا للواقع بنسبة كبيرة أو يكون مبالغا فيه بسبب الخيال فيقول: «هذه المقدمات ليس من شرطها أن تكون صادقة ولا كاذبة بل أن تكون مخيلة، ويكاد يكون أكثرها محاكاة للأشياء بأشياء من شأنها أن توقع تلك التخيلات، فيحاكي الشجاع بالأسد، والجميل بالقمر، والجواد بالبحر، وليس كلها بمحاكيات،بل كثير منها خالية عن الحكاية أصلًا[2]».وإذا كانت المحاكاة أساس الشعر فإنّ ابن سينا يجعل من الخيال أساس المحاكاة وتتبين قيمته من خلال الأثر الذي يتركه في المستمع.كما يمكن أن تأتي المحاكاة على شكل تشبيه بليغ لا يحمل أداة تبينه أو استعارة تفهم من خلاله سياق آخر يعرف من خلال الأداة المتمثلة في (ك-مثل) وغير ذلك فيقول في هذا الرأي:

---

[1] - أرسطو طاليس، فن الشعر، تح: عبد الرحمان بدوي، دار الثقافة، د ط، بيروت، لبنان، 1973، ص 171-172.

[2] - ألفت محمد كمال عبد العزيز: نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر،1984، ص86.

«إن القول الشعري يتألف من مقدمات مخيلة وتكون تلك المقدمات موجهة تارة.بحيلة من الخيل الصناعية نحو التخييل، وتارة لذواتها بلا حيلة من الحيل وهي أن تكون إما في لفظها مقولة باللفظ البليغ الفصيح بحسب اللغة، أو أن تكون في معناها ذات معنى بديع في نفسه لا بحيلة قارنته »[1]

وبعدها يقدم لنا أمثلة في النوعين، فيقول:

«وما ذرفت عيناكِ إلاّ لتضْرِبي بسهميك في أعشار قلب مُقتَل

كأن قلوب الطير رطْبا ويابسًا لدى وكرها العُنابُ والحَشَفُ البالي[2]».

فالبيت الاول شبه الشاعر ذرف العيون بالأسهم التي تقتل القلوب وحذف المشبه به وهي الدموع وترك أداة من ادواته على سبيل الاستعارة التصريحية، أما البيت الثاني فشبه القلوب بقلب الطير اللين والهش في أوكارها واستعمل أداة الشبه كأن والمشبه وهو قلوب الطير والمشبه به رطبا يابسا ووجه الشبه لدى وكرها العناب والحشف البالي وهو تشبيه بليغ.

والمحاكاة عند ابن سينا لا تقتصر على اللفظ فقط بل ترتب بثلاثة أشياء تتمثل في اللحن والوزن واللفظ، وهو ما أكد عليه حين قال:« والشعر من جملة ما يخيل ويحاكي بأشياء ثلاثة، باللحن الذي يتنغم به ... وبالكلام نفسه إذا كان مخيلًا محاكيًا،وبالوزن فإنّ من الأوزان ما يطيش ومنها ما يوقر[3]» والمحاكاة موجودة في كل الفنون لكنها تختلف من فن لآخر حيث يستعمل الرسام

[1] - ابن سينا، المجموعة أو الحكمة العروضية، تحقيق: محمد عبد الله الاسيوطي، كتاب ناشرون، دط، بيروت، لبنان، ص80.

[2] - المرجع السابق، ص80.

[3] -ألفت محمد كمال عبد العزيز، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد، ص79.

وسائِل مرتبطة بالرسم كالأقلام والألوان بمختلف أنواعها في حين يستعمل الشاعر الوزن واللفظ، ويبقى الشيء المشترك بين هذه الفنون هو حضور الخيال في تشكيل الصور[1].

2-4-2-مفهوم الشعر عند ابن رشد

لقد ذهب ابن رشد في نفس طريق ابن سينا وذلك حين اعتبر المحاكاة تشبيها أساسها الخيال وتتكون من ثلاثة أشياء اللفظ والوزن ويختلف في الشيء الثالث عن ابن سينا فهذا الأخير ذكر اللحن وابن رشد ذكر التشبيه ويتجلى ذلك في قوله:«المحاكاة في الأقاويل الشعرية تتكون من قبل ثلاثة أشياء:

من قبل النغم المتفقة.

من قبل الوزن

من قبل التشبيه نفسه»[2]

كل هذه الأشياء يمكن أن نجد كل واحد منها على حدى في فنون مختلفة، فنجد النغم في الألحان أو الموسيقى كالمزمار، وكذلك الإيقاع (أي الوزن) في الرقص.والمحاكاة (التشبيه) في الأقوال الناتجة عن الخيال من وزن.[3]

كما يرى ابن رشد أن كل الأفعال صالحة بأن تكون محاكاة سواء خيرا كانت أو شرًا، فالأفعال الخيرية أو الفضيلة تحاكي كل ما هو خير والأفعال السيئة تحاكي كل ما هو شر. وموضوع المحاكاة في الشعر يكون إما مديحا أو هجاء. [1]

---

[1]- ينظر: ألفت محمد كمال عبد العزيز، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد، ص250.

[2]- ابن رشد، تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر، تح: محمد سليم سالم، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، 1971، ص 60.

[3]-ينظر، أرسطو طاليس، فن الشعر، تر: عبد الرحمان بدوي، دار الثقافة ط:2، بيروت، 1973، ص203.

لم يتوقف الاهتمام بالشعر عند القدامى فقط بل انتقل إلى النقاد في العصر الحديث خاصة مع "ادونيس" الذي اهتم بالحداثة وكانت نظرته مختلفة للشعر حيث ربطه بالرؤيا واللغة يقول: «والشعر تأسيس، باللغة والرؤيا: تأسيس عالم واتجاه لا عهد لنا بهما من قبل، لهذا كان الشعر تخطيا يدفع إلى التخطي. وهو، إذن، طاقة لا تغير الحياة وحسب، وإنما تزيد، إلى ذلك في نموها وغناها في دفعها إلى الأمام»[2].

كما انتقل هذا الاهتمام بالشعر إلى النقاد الغربيين أمثال "ورد زورث" و"هازليت" حيث يرى الأول أن الشعر هو: « الانسياب التلقائي لمشاعر عارمة... وأساس من أسس النظرية النقدية الرومانسية التي تعتبر الفن تعبيرا عن شيء أو أخر، فأصل الشعر عند "ورد زورث" العاطفة التي يسترجعها الشاعر في لحظات تأملية هادئة »[3]. فالشعر عنده إذن هو نتاج العاطفة والمشاعر والتأملات التي تتفاعل في نفس الشاعر، وهو ما ذهب إليه "هازلت" باعتباره الشعر: « تعبير عن الانطباعات التي يخلقها في نفس الشاعر شيء ما أو حدث ما، وهو تعبير صادق ويتميز عن غيره من طرق التعبير بتناغم لغته، وهو لذلك يحرك خيال القارئ ومشاعره، الشعر إذن عنده هو لغة الخيال والعواطف، والشعر بذلك لغة عالمية، ويرتبط بكل ما يحدث لذة أو ألما للنفس البشرية ونظم الشعر انجاز إنساني رائع. ولذا ولد مع مولد البشر»[4].

إذن الشعر كان له أهمية كبيرة في مختلف العصور والأمكنة وذلك لاهتمامه بمختلف القضايا البشرية والإلمام بمختلف مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية وغيرها.

---

[1]-ينظر: مديونة صليحة، نظرية المحاكاة بين الفلسفة والشعر، ص106.

[2] - ادونيس، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، ط3، بيروت، لبنان، 1979، ص102.

[3] - السدات جيهان: اثر النقد الانجليزي في النقاد الرومانسيين في مصر بين الحربين، دار المعارف، د ط، القاهرة، 1992، ص57.

[4] - نفس المرجع السابق، ص62.

3-علاقة الفلسفة بالشعر:

إن الشعر مرتبط بالفلسفة ومشابه لها «لأن الشعر إنما المراد فيه التخييل لا إفادة الآراء، فإن فات الوزن نقص التخييل، وأما الأخر فالغرض فيه إفادة نتيجة التجربة، وذلك قليل الحاجة إلى الوزن، فأحد هذين يتكلم فيما وُجِد ويوجد والأخر يتكلم فيما وجوده في القول فقط ولهذا صار الشعر أكثر مشابهة للفلسفة من الكلام الأخر لأنه أشد تناولا للموجود وأحكم بالحكم الكلي».[1]

بما أن الفلسفة والشعر يبحثان في الوجود فمن الأكيد أن العلاقة بينهما علاقة ترابط، حيث أن الشعر ارتبط بالفلسفة وبالقضايا الفلسفية الكبيرة المتعلق بوجود الإنسان، وبنظرته إلى الحياة والوجود،وكذا بالأسطورة وبالموت وبكل له علاقة بالخيال كالطبيعة،وبغيرها من القضايا التي ظلت تؤرق مضجع الإنسان. وهذه العلاقة بين الشعر والفلسفة نابعة من العلاقة الوطيدة بين الشاعر والفيلسوف منذ القدم فظاهرها يوحي إلى الإنفصال بينهما ولكن في باطنها علاقة ترابط عميق« فالعلاقة بين الفلسفة والشعر في غاية التعقيد،فليس من السهل فصلهما أو الجمع بينهما، ففي كثير من الأحيان نجد الواحد منهما يتقمص الآخر و يحل فيه إلى درجة يصعب معها تعيين نوع الخطاب، وهذا لكونهما يقطنان نفس الفضاء ويقيمان في نفس المجال، ومن المؤكد أن ثمة فكر يكمن في ثنايا قصائد الكثير من الشعراء، من أمثال طاغور ... كما أن هناك فلاسفة كانوا شعراء.»[2]

[1]-ألفت محمد كمال عبد العزيز، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد، ص97.

[2]كرد محمد، الشعر و الوجود عند هيدغر،(رسالة دكتوراه)،قسم الفلسفة،كلية العلوم الإجتماعية، جامعة وهران، الجزائر،2011،2012، ص71.

ويظهر هذا الترابط بشكل واضح في الشعر المعاصر حيث تتجلى القضايا الفلسفية في قصائد الشعراء.

4-مفهوم الرؤية

4-1-لغة

لقد جاء في المعاجم العربية أن كلمة الرؤية هو كل ما وقع على نظر الإنسان ويراه بعينه، حيث يقول ابن منظور في لسان العرب «رأيته بعيني رؤيةً، ورأيته رأي العين، أي حيث يقع البصر عليه. »[1]أما معجم أساس البلاغة للزمخشري فيقول:«رأيته بعيني رؤية، ورأيته في المنام رؤيا.»[2]ومعنى الرؤية عند الزمخشري هو النظرة بالعين وتحدث أثناء اليقظة، ثم تطرق إلى الفرق بينها بين الرؤيا التي تحمل معنى المنام وتحدث أثناء النوم. ويشير ابن منظور لهذه الأخيرة بقوله: «ونظير كسر الراء إبدال الألف في الوقف على المنون المنصوب مما فيه اللام نحو العتابا، وهي الرؤى.ورأيت عنك رؤى حسنةً : حلمتها وأراي الرجل إذا كثررؤاه ُ ، بوزن ُرعاه ُ ، وهي أحلامه جمع الرُّؤيا، ورأى في منامه رؤيا، على فعلى بلا تنوين، وجمع الرؤيا رؤى، بالتنوين، مثل ُرعى، قال ابن بري: وقد جاء الرؤيا في اليقظة»[3].

كما جاء في معجم الوسيط في مادة رآه:يراه ُ ، ورَْآه [على قِلّة] رأْياً ، ورؤيةً:أبصره بحاسة البصر، ورآه اعتقده ورآه دبَّره، ورأى فلانا، رأياًأصاب رئته ُ ، والراية. ركزها، ورأى في منامه، ُرْؤيَا: حَلَم.»[4]

من خلال هذه التعريفات، نلاحظ أن المعاجم اللغوية تتفق على أن الرؤية هي ما يبصره الإنسان ويراه بعينه،كما أنها تشير إلى الاختلاف بين الرؤية والرؤيا، فالأولى بمعنى البصر أما الثانية

---

[1]-ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ط1، بيروت، مج14، مادة رأي، ص295.

[2]-الزمخشري: أساس البلاغة، ج1، تح: محمد باسل عيون السُّود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1998، ص326.

[3]-ابن منظور، لسان العرب مادة رأي، ص297.

[4]-ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، م1، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة ، مصر، 2004، ص320.

فتعني المنام، وقد يكون إتخاذ موقف إتجاه شيء ما بعد أن تتبعه فترة زمنية بمعنى« تعميق لمحة من اللمحات أو تقديم نظرة شاملة وموقف من الحياة، يفسر الماضي ويشمل المستقبل.» [1].

لأن الشعر « أكثر نزوعًا فلسفيًا وأكثر جدية من التاريخ،لأنه يتعامل بالكليات بينما يتعامل التاريخ بالخصوصيات.»[2]

والرؤية لها علاقة بالأدب:«والأدب تعبير بالكلمة عن رؤية الأديب لواقعه، وأن الاديب بعمله الأدبي يعيد تشكيل الواقع ويختار منه ما يتلاءم مع رغبته في الكشف عن هذه الرؤية. وأنا هذه الرؤية تكشف عن إدراك الأديب لعلاقات الواقع، كما تتضمن تخيله الصورة التي ينبغي لأن تسود هذه العلاقات في المستقبل... كما أنها تصبح أقدر على تخيل طبيعة المستقبل الذي يحقق للإنسان إنسانيته.»[3]فالرؤية هي تصور الاديب لعالمه وما يدور حوله، وكما أنه يتصور مستقبله كيف سيكون .

4-2-اصطلاحا

الرؤية هي ما تبصره العين وتراه، وقد شاعت بين المفكرين العرب الذين قد ميزوا بين مصطلح الرؤية بالتاء، والرؤيا بالألف وهذا ما توقف عنده أدونيس في كتابه الثابت والمتحول حيث يقول: «والفرق بين رؤية الشيء بعين الحس ورؤيته بعين القلب، هو أن الرائي بالرؤية الأولى إذا نظر إلى الشيء الخارجي يراه ثابتا على صورة واحدة لا تتغير، أمَّا الرائي بالرؤية الثانية فإذا نظر إليه يراه لا يستقر على حال، وإنما يتغير مظهره وإن بقي جوهره ثابتً ا.»[4]إذن يرى أدونيس أن الرؤية هي شيء محسوس خارجي لا يتغير أما الرؤيا فهي متغيرة ومعناها ثابت.

---

[1] - محي الدين صبحي، الرؤيا في شعر البياتي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط:1،العراق، بغداد،1987، ص23.

[2] - نفسه، ص23.

[3] - عبد المحسن طه بدر، الرؤية والأداة نجيب محفوظ،دار المعارف، ط:3، القاهرة،1984، ص15،16.

[4] -أدونيس، الثابت والمتحول، ج:4،دار الساقي، بيروت، لبنان، ص152.

وهذا ما يؤكده صلاح فضل في كتابه أساليب الشعرية المعاصرة حول الفرق بين الرؤية والرؤيا، حيث:«يتم التمييز لغويا بين الرؤية والرؤيا على اعتبار الأولى من فعل الباصرة في اليقظة والثانية من فعل التخيُّل في الحلم.»[1]

ومن خلال هذين القولين نرى أنهم اتفقوا أن الرؤية والرؤيا لا يتفقان في معناها فالأول جاء بمعنى الخيال والمنام والحلم، أما الثاني فهو البصر أو العقل وترتبط بالعين أي بشيء مادي محسوس.

[1]-صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، ، دار الأدب، ط:1، بيروت،1995،ص111.

الفصل الأول

القضايا الفلسفية في القصائد الأخيرة لسميح القاسم.

المبحث الأول: قضية الوجود والمصير الإنساني

1-مفهوم الوجود

1-1-لغة

جاء في لسان العرب لابن منظور:«قال سيبويه: وقد قال ناس من العرب: وجد، يوجد، كأنهم حذف وهل من يوجد، قال: وهذا لا يكاد يوجد في الكلام، والمصدر وجدا، وجدة، ووجدا، ووجودا، ووجدانا، واجدانا، الأخيرة عن ابن الأعرابي، وأنشد: آخر ملتاث، يجر كساءه

نفى عنه إجدان الرقين الملاويا.

وقال: وهذا يدل على بدل الهمزة من الواو المكسورة كما قالوا الدة في ولدة، وأوجده إياها: جعله يجده[1]».

إن تعريف الوجود في الموسوعة الفلسفية العربية هو: «الوجود، الموجود، الهوية (قديما)والكينونة، الكائن (حديثا): كلمات عربية مولدة صاغها المترجمون لينقلوا بها إلى اللغة العربية معنى لا يستقيم أداؤه إلّا في اللغات الهندو-أوروبية، أو قل إنه من خصائص هذه اللغات، ومنها اللغة اليونانية، اللغة الأم للفلسفة. في العربية نكتفي بالقول: «زيد مريض» عندما نريد أن نخبر عن شخص نعرف اسمه زيد، بأنه يوجد في حالة مرض، مضمرين هكذا فعل « يوجد»، أما في اللغات الهندو-أوروبية فيضيفون بين الموضوع (زيد) والمحمول (مريض) رابطة وجودية هي باللغة الفرنسية فعل الكينونة êtreويقولون فيما ترجمته حرفيا «زيد موجود مريض» وهكذا فقبل أن ينسبوا إلى زيد أو إلى أي موضوع آخر صفة من الصفات أو معنى من المعاني لإثبات وجوده أو لا، باعتبار أن

[1] - ابن منظور، لسان العرب، م 3، دار صادر، بيروت، ص 445.

الوجود هو أكثر الصفات كلية وعمومية ...فهو إذن أول عنصر في أي تعريف، ولذلك كان من غير الممكن تعريفه.»[1]

كما يعرف المعجم الفلسفي الوجود بأنه «كلمة مألوفة جدا في جميع اللغات تعبر عن مصدر لفعل وجد بمعنى أن يكون له مكان وكينونة، لكن هذا المصطلح تعريفه في فلسفة الفلسفة يبقى أشد المصطلحات عصيانا على التعريف والتحديد.»[2]، إذن الوجود من أصعب المصطلحات تعريفا ولقد تعددت وتنوعت في المعاجم اللغوية والفلسفية، كما نتج مصطلح آخر للوجود وهو الوجودية الذي عرفه مصطفى حسيبة في كتابه المعجم الفلسفي بقوله:

«أما الوجودية: هي تيار فلسفي يعلي من قيمة الإنسان إلى مكانة تناسبه يؤكد على تفرده، وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار لا يحتاج إلى موجه.»[3]

إن الوجود متداول منذ القدم بمصطلح الهوية أو الكينونة، أما حديثا فيعرف بأنه الكائن، وهذا الأخير مصطلح عربي مترجم، فالوجود شامل لكل الصفات التي تنسب إلى وجوديته، لكنه لم يكن له تعريف خاص به، فقد اِختلفت الدراسات في تعريفه وخاصة الفلسفة ذاتها. وهذا ما يؤكده ابن سينا: «إن الموجود لا يمكن أن يشرح بغير الاسم لأنه مبدأ أول لكل شرح فلا شرح له، بل صورته تقوم في النفس بلا توسط شيء.»[4]

[1]-معن زيادة وآخرون: الموسوعة الفلسفية العربية، م:1(الإصطلاحات والمفاهيم)، ، معهد الإنماء العربي، ط1، د ب، 1986، ص 836.

[2]-مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، الأردن-عمان، 2009، ص680.

[3]-المرجع السابق، ص680.

[4]- معن زيادة وآخرون، الموسوعة الفلسفية العربية، ص836.

1-2-اصطلاحا

رأينا سابقا في التعريف اللغوي والفلسفي لمصطلح الوجود أنه الكينونة، الهوية، الكائن، فالتعريفات الاصطلاحية عند الفلاسفة،سواء اليونان أو المسلمين، قد تعددت، كما اختلفوا فيما بينهم، فلكل واحد نظرته الخاصة للوجود، وهذا هيراقليط،Héraclite يرى أن الوجود

« كُلْ Totalité وهذا الكل يمكن أن يفهم بمعنى «الفيزيس Physis» الذي يعشق التحجب والخفاء،...يقول هيدغر : أعلن هيراقليط أن الواحد هو الكل. كل تعني هنا كل موجود. والواحد والوحيد والموحد للكل. لكل المتحد هو الموجود في الوجود... إن الوجود يجمع الموجود فيه»[1]

فالموجود إذن هو الكل، وهذا الكل هو جميع ما وجد في هذا الكون، خاصة الطبيعة التي لها خبايا وخفايا لا تعد ولا تحصى وتبهر الإنسان، فالوجود هو ما وجد فيه ووضع من كل شيء.

«لقد أصبحت اللحظة الأفلاطونية تبعا لهذا التأويل تعتبر الوجود «إيدوس eidos» الأساس الذي تنطلق منه وتتحدد صور الأشياء وتتراءى، ستحدد الماهية كمعطى قبلي يسبق السؤال ذاته، أو لنقل توجد خارج الاستفهام ما دامت تشترطه ومن ثمة أصبحت حقيقة الأشياء لا تتحدد إلّا بارتباطها بعالم «الإيدوس» عالم ما فوق الأشياء الحسية والذي يمثل عالم الوجود الحق.»[2]

وهذا ما اعتقده أفلاطون، أن الوجود هو الإيدوس وهو العالم الذي يبدأ منه كل الأشياء، فماهية الوجود تبدأ بسؤال ثم تصبح حقيقة أي أن الوجود له أسبقية عن العالم الحسي الواقعي.

أما أرسطو الذي يعرف الفلسفة بأنها البحث في الموجود بما هو موجود فهو عكس أفلاطون. فأرسطو أطلق على فلسفته الأولى مصطلح "الميتافيزيقيا" الذي ضمَّنه في ثنايا قوله: «إن لعلم

[1]-كرد محمد، الشعر والوجود عند هيدغر، (رسالة دكتوراه)، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، وهران، الجزائر، 2011-2012، ص40.

[2]-كرد محمد، الشعر والوجود عند هيدغر، ص42.

واحد من العلوم النظر في الهوية على كنهها، والنظر في الأشياء التي هي الهوية لذاتها، وليس هذا العلم واحد من العلوم التي يقال إنها جزئية...»[1]

إن الفلسفة المسيحية لها نظرة أخرى للوجود على حسب اعتقادها وهذا ما عبر عنه إيتيان جيلسون لأنها تظل دائما تدل على ماهية الله عندهم في العصور الوسطى، وهذه الدلالة ليس لها اعتبار آخر أو ماهية أخرى غير الله، فمن ذات الله سترتبط الماهية مع الوجود، والوجود الأسمى هو أن الاعتراف بوجود واحد لا أكثر ولا أقل، فهو الوجود الحق، وهذا ما يستحقه الوجود بأن يسمى الله، فالوجود سيكون اسمه يناسب إلها واحدا وهو الله.[2]

«وستعود التصورات الأفلاطونية مرة أخرى إلى الظهور ولو بشكل مختلف في بعض تفاصيلها، وهذا من خلال الفلسفة المسيحية التي قسمت الوجود إلى قسمين: وجود دنيا ويمثله وجود المخلوقات Les créateursهذا من جهة، ووجود الله Le Dieu من جهة أخرى. لقد كشفت الفلسفة المسيحية مرة أخرى في تاريخ الفكر الإنساني عن وجود عالمين: عالم الوجود الحق، الثابت، الأزلي، الواحد، الإلهي، الكامل، والذي يقابل وجودا آخر، هو الوجود الواقعي، وهو وجود ناقص، غير حقيقي، متناهٍ.»[3]

إذن من خلال اعتقاد الفلسفة المسيحية أن الوجود له ارتباط باسم الله، فهم يعتقدون أن الله يكمل الوجود والعكس صحيح، وأيضا ما تصورته الأفلاطونية ولو بنظرة طفيفة بالفلسفة المسيحية قسمت الوجود إثنين: وجود دنيا ووجود الآخرة. كما أنهم يزعمون أن هناك عالمين للوجود هما عالم الوجود الحقيقي الثابت، وعالم الوجود الواقعي الناقص، ثم ربطوا الوجود بالله.

[1]-ابن رشد، تفسير ما بعد الطبيعة، دار المشرق، دط، بيروت، 1967، ص296-297.

[2]-ينظر: كرد محمد، الشعر والوجود عند هيدغر، ص46.

[3]-كرد محمد، الشعر والوجود عند هيدغر، ص46.

أما الفلسفة الإسلامية، فمفهوم الوجود عندهم غامض متوازن إلى حد كبير، وهذا ما تطرق إليه الكندي في الفلسفة الأولى (Philosophie première) فيقول: «هي علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان.»[1]

«ومن هنا ستتحول الفلسفة من بحث في «الوجود بما هو وجود» إلى البحث في «الموجود بما هو موجود»، وبذلك تكون الفلسفة الإسلامية تسير على خطى الفلسفة الأفلاطونية-الأرسطية حين سارت بالفلسفة نحو الموجود ليغيب الوجود ويدخل عالم النسيان»[2]

ويرى إبراهيم ديناني في كتابه حركة الفكر الفلسفي الإسلامي حول أصالة الوجود أن«نظرية (أصالة الوجود) كما هي واردة في الحكمة المتعالية لصدر المتألهين، غير مسبوقة في آثار الفلاسفة الذين جاؤوا من قبله، وقد أحدث بهذا المبدأ الذي أسسه تحولا في الفلسفة الإسلامية، وأضفى لونا جديدا على حركة الفكر الفلسفي ومنها وجهة جديدة.»[3]

ومن هنا نرى أنه لم يسبق للفلاسفة المسلمين القدماء الأولين أن قدموا للوجود آراء جديدة، غير أن صدر المتألهين محمد بن إبراهيم الشيرازي أعطى روحًا جديدة لها في الفلسفة الإسلامية. وحاول أن يقدم مفهوما للوجود.وهذا ما يظهر من خلال قوله: «وفي ذات الوقت الذي يعترف فيه صدر المتألهين بظهور وبداهة حقيقة الوجود ومفهومه، يؤمن أن ماهيته من أخفى الأمور من حيث التصور... الوجود أجلى الأشياء حضورًا وكشفًا، وماهيته أخفاها تصورًا واكتناها ومفهومه أغنى الأشياء عن التعريف ظهورًا ووضوحًا وأعّمها شمولًا.»[4]

---

[1]-الكندي، رسائل في الفلسفة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978، ص25.

[2]-كرد محمد، الشعر والوجود عند هيدغر، ص47.

[3]-غلام حسين إبراهيم ديناني، حركة الفكر الفلسفي في العالم الإسلامي، ج2، تعريب: عبد الرحمان العلوي، دار الهادي، ط1، بيروت، لبنان، 2001، ص268.

[4]-غلام حسين إبراهيم ديناني، حركة الفكر الفلسفي في العالم الإسلامي، ص271.

كما يعطي صدر المتأهلين نظرته حول حقيقة الوجود الذي يتجاوز صفات الماهية. فقد أكد صدر المتأهلين على هذا الكلام وقال في منتهى الصراحة «...ولا يمكن تصوره (أي الوجود) لأن تصور الشيء عبارة عن حصول معناه وانتقاله من حد العين إلى حد الذهن. فهذا يجري في غير الوجود، أما في الوجود فلا يمكن ذلك إلّا بصريح المشاهدة والعيان دون الحد والبرهان.»[1]

ومن هنا نرى أن نظرة الفلاسفة المسلمين إلى الوجود هي نظرة عميقة غير محدودة، ليس لها مفهوم واحد. فلكل فيلسوف نظرته الخاصة حول الوجود وماهيته، والوجود لا يمكن رؤيته بالعين ومشاهدته دون الإتيان بدليل على حصوله.

2-الوجود في الشعر العربي

سؤال الوجود والبحث عن الذات مطروح منذ القدم، فالإنسان بطبيعته العقلية كان دائم البحث عن ذاته منذ بداية الخلق والتساؤل حول مصيره. وهذه الأسئلة لم تقتصر فقط على الإنسان المعاصر أو شاعر هذا العصر بسبب الأوضاع والمشاكل التي يعيشها، بل كان للشاعر في العصر الجاهلي أيضا نظرة وجودية وساعدت البيئة (القبيلة) التي يعيش فيها على التعبير عن هذه النظرة، فالبيئة الصحراوية تتميز بقساوة المعيشة والحروب بين القبائل، مما دفع بالشاعر ليساهم في الدفاع عن قبيلته والرفع من شأنها، فالإنسان يشعر بوجوديته حين يشغل بقضايا أمته، وفي هذا الصدد، يفتخرعمرو بن كلثوم بشجاعة أهل قبيلته في بعض الأبيات.

«ونحن الحابسون بذي أراطى ***تسفُّ الجلَّةُ الخورُ الدَّرِينا

ونحن الحاكمون إذا أُطِعنا *** ونحن العازمون إذا عُصينا

ونحن التاركون لما سَخِطنا *** ونحن الآخذون لما رَضِينا

وكنا الأيمنين إذا التقينا *** وكان الأيسرُونَ بُنو أبِينا

[1]- غلام حسين إبراهيم دينانى، حركة الفكر الفلسفي في العالم الإسلامي، ص276.

فصالُوا صَولةً فِينا يليهم *** وصُلنا صَوْلَةً فِينا يلينا

فآبوا بالنهاب والسبـايا *** وأُبنا بالملوك مصفّدينا

إليكـم يا بني بكرٍ إليكم*** ألمـا يعرفوا منَّا اليقينا؟»[1]

من هنا كانت للشاعر أهمية كبيرة في القبيلة، ويعد السلاح الأول في ردع الأعداء. وقد أشاد كثير من النقاد بأهمية الشاعر الجاهلي من بينهم الجاحظ الذي قال: «الشاعر أرفع قدراً من الخطيب، وهم إليه أحوج، لِرد مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيامهم.»[2]

كما أنّ الدراسات حول الشعر الجاهلي تؤكد أهميته في التعبير عن الوجود، وبما أن الوجود سؤال فلسفي مطروح منذ القدم فلا بدَّ أن يرتبط بالإنسان الجاهلي «ولعل من يرجع إلى سياقات تلك القصائد الطوال، وإلى نصوصها الشعرية الفذة وما زخرت به من قيم الحياة العربية و أخلاقها وفلسفة شعرائها في الحب والحياة، والحرب والسلم، والفروسية والمروءة، والكرم والنخوة، ونحو ذلك من المعاني التي تشكل انتصارا قويا على أسئلة العبث والموت التي ضربت في نفوس شعراء آخرين...سيجد أن الشاعر الجاهلي كان على مقربة شديدة من فلسفة الوجود بمعناها الإنساني الشامل.»[3]، إذا لم يتخلى الشعراء على هذه القضية الفلسفية عبر الزمن وكانت محل اهتمامهم كلما تطور الشعر نجد الوجود حاضرا في العصر الحديث مع مجموعة من الشعراء الذين تناولوا قضية الوجود في الشعر العربي الحديث، من بينهم إيليا أبو ماضي الذي طرح هذه القضية بشكل مباشر

[1]-محمد علي الحسني، ديوان العرب (معلقة عمرو بن كلثوم)، إشراف: أنس أبو هلال، دار الكتب الوطنية، ط1، أبو ظبي، 2012، ص53-55.

[2]-الجاحظ عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج4، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط7، القاهرة، 1998، ص83.

[3]-فاطمة محمد السويدي، المنحى الوجودي في الشعر الجاهلي (صراع القيم وحب البقاء)، بحوث ومقالات، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2018، ص90.

داخل قالب فني جميل في قصيدة من أنا: فيتساءل عن هويته وحياته وغيرها من الأمور، نستحضر بعضا من أبياتها :

«أنا من أنا ياترى في الوجود؟ وماهو شأني، وماموضعي؟

أنا قطرةُ لَمعت في الضحى قليلاً على ضفة المشرع

سيأتي عليها الماء فتغدو. كأن لم ترقرق ولم تلمع »[1]

ظل سؤال الوجود يفرض نفسه عل الشاعر العربي حتى إستقر به المطاف عند الشعراء المعاصرين، فأصبح الشاعر المعاصر لايُحس بوجوده إلاّ إذا عبر عن القضايا والمشاكل التي تمر بها أمته ومن أبرز هؤلاء الشعراء الذين تناولوا قضية الوجود في الشعر نجد الشاعر الكبير سميح القاسم.

3-تجليات الوجود في قصائد سميح القاسم الأخيرة

مثلما شغل الوجود فكر الفلاسفة حول ماهيته ونظرتهم إليه وأصالته كذلك كان مدار اهتمام الشعراء القدماء والمعاصرين، حيث دخلت هذه الرؤية الفلسفية في الشعر بعد أن شغلهم سؤال الوجود، «فتحولت القصيدة المعاصرة إلى صوت يعبر به الشاعر عن همه وقلقه الوجودي محاولا البحث عن الخلاص والتحرر والتخلص من الاضطراب والخوف المستمر، حيث عكف شعراء القصيدة ... المعاصرة بالبحث عن التجديد ومناشدة التحرر ورفض الركود والخمول.»[2]

وبالحديث عن الحرية والتحرر دافع الشاعر عن أسرى معتقل غوانتانامو الذي يضم معتقلين من مختلف البلدان متهمين بتشكيل تنظيم إرهابي خطير، وهذا المعتقل تنعدم فيه أدنى حقوق الإنسان

[1]- ديوان ايليا ابو ماضي، دار العودة، دط، بيروت، 2007، ص484.

[2]-نعيمة بن عروسة، أسماء خديم(03/06/2021)، مجلد 10، سؤال الموت وقلق الوجود في الشعر العربي المعاصر، مجلة الحوار الثقافي، العدد01، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، الجزائر، ص5.

أو بمعنى أصح الأسير، فمصيره مجهول بين العودة إلى دياره أو البقاء أسيرا حتى نهاية عمره فمصيره بين أيدي أصحاب السلطة.

-«يا جنرال الظلام. ويا سيِّد النفط والحلّ والربط.

ما الحلُّ

يا سّيد البورصةِ الخائفة

ويا قاتل الوقت في رَحْمِ ساعاتنا الواقفة

إلى أين تمضي جنائز أحلامك النازفة

إلى أين يمضي السلام؟

إلى أين يمضي الكلام؟»[1]

فالوجودية هي حرية الشخص واتخاذ قراراته بنفسه دون تدخل الآخر وصنع عالمه الخاص به الذي يجد فيه حريته المطلقة والمناسبة لتفكيره دون أي قيود، مما يجعله صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار، فيُكَوِّن نفسه بنفسه ويعطي لحياته معنى. وكل هذا يفتقده الأسير في غوانتانامو حيث تسير حياته كما تقررها القوانين الظالمة.

«هنا غوانتانامو

تقول الدساتير ما لا تقول البنادق

تقول المغارب ما لا تقول المشارق

تقول الأراجيح ما لا تقول المشانق

يقول الأساطين في فنَّ قتلِ المحبَّةِ. ما لا

[1]-قصائد سميح القاسم، البيان قبل الأخير، قصيدة غوانتانامو.Konouz.com2022/05/03 موقع كنوز، ومنقولة كاملة من تسجيل بصوت سميح القاسم. قناة ترانيم وهي قناة تهتم بالأدب

تقول أناشيد عاشقْ

لماذا يقول لنا الاتهام؟

وماذا يقول لنا غوانتانامو؟»[1]

كما يعيش الشاعر قلقا وجوديا، بِاعتبار الإنسان كائنا وجوديا يتفاعل مع قضايا مجتمعه وبيئته فيحدث بينه وبين هذه القضايا عملية تأثير وتأثر، كل هذا يدفع الإنسان إلى الحديث عن هذه القضايا والتعبير عنها بمختلف الوسائل. وكان للشاعر المعاصر دور كبير في هذا الجانب، فسميح القاسم رغم معاناته الشديدة من المرض إلا أنه ظل يذكر فلسطين حتى في آخر قصائده حين كان يودع الحياة، فالقضية الفلسطينية هاجس يلازم الشاعر،وكانت أكبر اهتماماته منذ رفع القلم وهو طفل حتى آخر أنفاسه. فيقول في آخر إصداراته «ضجيج النهارات حولي»:

«لفلسطين أغني

وأغني للسلام

رافعا وجهي ابتهالا وصلاة

واضعا كفي على قلبي

فيا قَلْبُ ِتسع محتضنا كل الجهات

لفلسطين أغني

وأغنِّي للحياة»[2]

[1]- قصائد سميح القاسم، البيان قبل الأخير، قصيدة غوانتانامو.

[2]-سميح القاسم، كولاج 4 (ضجيج النهارات حولي)، دار موزاييك للترجمات والنشر والتوزيع، دط، 2014، د ب، ص85.

لكن اهتمامه بقضايا وطنه لم يشغله عن مشاكل الدول العربية الأخرى فكثيرا ما حزَّ في نفسه الظلم الذي تعاني منه الدول العربية من قِبل الحكام والسلطة، فلم يستطع أن يتجاهل ثورة البوعزيزي، البوعزيزي الذي تعرض للإهانة من قِبل السلطات فأشعلت نيران جسده غضب الشعب التونسي.

«يا البوعزيزي

يا صورة بركان الغضب الثائر

في معنى الإنسان المقهور القاهر

يا روح أبيك

وحياة أخيك

في الملل المعتم والقلق الكافر

وأنا .." بتونس بيك"

يا البوعزيزي»[1]

كل هذا لم يمنع الشاعر من التعبير عن معاناته الذاتية والحديث عن تجاربه وانفعالاته الداخلية التي تدور بين القلق والحزن والألم والأمل، وهذا ما يعبر عنه في سيرته الذاتية "كولاج 3"حيث تحدث عن أحزانه قائلا:

«نهاري القصير طويل

على دهر حزني

وليلي القصير طويل

على نار قلبي ودمعة عيني»[2]

---

[1]-سميح القاسم، «العنقاء» -ترنيمة حب وتقدير لثورة تونس-، مصدر الخبر: العرب أونلاين، 12:47 https//www.Turess.com ،2021/27/11

[2]-سميح القاسم، كولاج 3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دط، بيروت، لبنان، 2012، ص5.

ورغم الأحزان والآلام التي أثقلت كاهله، إلا أن الشاعر بقي صامدا أمام كل الصعاب يتحدى كل الظروف، ولم يستسلم للمرض الذي يفتك به، وينهش جسده الذي أوهنته السنون. فيقول:

«رجل من حياة ولحم ودم

باغتته هموم الحياة بلا رحمة فابتسم

وتحدى صفوف الألم

رجل واحد

في شرايينه نبض كل الأمم. »[1]

فكلما كثرت معاناته ازداد ضياعه الداخلي، فلا يتذكر لياليه وأيامه من الزمن الجميل، فكل ما يشغل باله هو مرضه الذي أثقل على روحه.

«الآن تذكّرتك معذرة

فقدان الذاكرة كثيرًا

في غمرة شظف الأيام

ما أروع سهرتنا

الآن تذكرتك

ما أجمل ليلتنا

من ألفين وتسعة أعوام

أتذكر..طبعاً .. أتذكر»[2]

[1]-سميح القاسم: كولاج 4 (ضجيج النهارات حولي)، ص69.

[2]-سميح القاسم، كولاج 3، ص9.

ومع اشتداد المرض عليه، أصبح الشاعر كثير القلق، فالباحث في الوجود لا بدَّ أن ينتابه القلق من اليوم الذي سيرحل فيه من هذه الحياة. فيتأمل الأشياء بحكمة وروية.

«عادني في الأمس كونفوشيوس

قال لي هادئا: قلق العيش أقسى من الموت، يا

صاحبي

قالها وانطلق

تاركاً ظله

وصدى صوته

وأنا والقلق.»[1]

[1]-سميح القاسم: كولاج 4، (ضجيج النهارات حولي)، ص74.

المبحث الثاني: الزمن والمكان في القصائد الأخيرة لسميح القاسم

1-الزمن

1-1-مفهوم الزمن

1-2-لغة

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة زَمَنَ:

«الزمن والزمان: اسم لقليل الوقت وكثيره، وفي المحكم، الزمن والزمان العصر، والجمع أزمن وأزمان وأزمنة، وزمن زامن: شديد، وأزمن الشيء: طال عليه الزمن والاسم من ذلك الزمن، والزمنة، عن ابن الأعرابي.وأزمن بالمكان، أقام به زمانا ...وقال شمر: الدهر والزمان واحد...ويكون الزمان شهرين إلى ستة أشهر...، والزمان يقع على فصل من فصول السنة، وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبه[1]».

وفي قاموس المحيط: «الزمن، محركة وكسحاب: العصر، واسمتان لقليل الوقت وكثيره، ج: أزمان، وأزمنة، وأزمن، ولقيته ذات الزمنيين[2]».

ومن هنا نرى أن الزمن يدل على البقاء والإقامة، والزمان أيضا يوجد في الطبيعة أي في الفصول الأربعة (الخريف، الشتاء، الربيع، الصيف).

-أمَّا مفهومه في المعجم الفلسفي، فإنه «يطلق على الفصل من الوقت والزمن في أساطير اليونان، وهو الإله كرونوسى الذي تتضح به الأشياء، وهو نسبة المتغير إلى المتغير، بينما الدَّهر هو إطار الزمن، ويفيد نسبة الثابت إلى المتغير، والسرمد يفيد الثابت إلى الثابت»[3].

---

[1] -ابن منظور، لسان العرب، م 13، دار صادر، بيروت، ص 199.

[2] -فيروز آبادي، قاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص 720.

3- جميل صليب: المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص636

وترى الدكتورة مها حسن القصراوي: «أن الزمن في الحقل الدلالي الذي تحتفظ به اللغة العربية إلى اليوم هو زمن مندمج في الحدث »[1]. ومن هنا يعتبر الزمن دلاليا، إنه مرتبط بالحدث أو الأحداث التي تحصل.

كما يتحدث القرآن الكريم عن الزمن فهو غني بالمصطلحات التي تحيل إلى الزمن لقوله تعالى: «يسألونك عن الاهِلَّةِ قُلْ هي مواقيتٌ للناس والحجِّ» (سورة البقرة/الآية 189). ويقول سبحانه وتعالى: «فالاَنَ بَاشِرُهنَّ وابتغوا ما كتباللَّه لكم»، (سورة البقرة/الآية 87). ولقوله تعالى:«هل أتى على الإنسان حين من الدَّهرِ لم يَكُن شيئاً مذكورًا» (سورة الانسان/الآية 1).

والزمن في القرآن الكريم ذُكر في عدَّة مواضع، وأكد عليه وهي كثيرة منها الليل، الساعة، الدهر، النهار، اليوم، الشهر، وغيرها من المصطلحات التي تحيل إلى الزمن.

1-3-اصطلاحا

الزمن هو الدهر والبقاء الذي يعيشه الإنسان عبر فترات من حياته، وهذا ما جاء في التعريف اللغوي، كما أن الزمن مصطلح في القرآن الكريم، وتعددت مواضع هذا المصطلح، إلا أن الزمن في التعريف الاصطلاحي عند مرشد أحمد في كتابه البنية والدلالة هو« أحد المكونات الأساسية التي تشكل بنية النص الروائي، وهو يمثل العنصر الفعَّال الذي يكمل بقية المكونات الحكائية ويمنحها طابع المصداقية[2]». إن الزمن إذن عنصر مهم وأساسي فعليه يبنى النص، كما أن الزمن له مجالات متعددة، وهذا ما عبر عنه سعيد يقطين بقوله:

---

[1] -مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان،2004، ص12.

[2] -مرشد أحمد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، دار فارس للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 2005، ص 233.

«إن مقولة الزمن متعددة المجالات، وكل مجال يعطيها دلالة ويتناولها بأدواته التي يصوغها في حقله الفكري والنظري، وكانت حصيلة تصور مقولة الزمن تجد اختزالها العلمي والمباشر مجسدا بجلاء في تحليل اللغة في أقسام الفعل الزمنية في تطابقها مع تقسيم الزمن الفيزيائي الى ثلاثة أبعاد وهي:الماضي والحاضر والمستقبل.»[1].

فالزمن هو إذن أساس أي نص مما يجعله ذا مصداقية، ويتداخل في عدة مجالات، إما فكريا أو تطبيقيا. كما أنه مقسم إلى ثلاثة أزمنة هي: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

ويقول منذر عياشي: «إن قراءة الزمن النصي ... تعزز استقلاليته النصية، وتجعل من الأسلوب فيه صورة من المتغيرات لا تنتهي، برسمها قراءة في كل الأزمان وفاعلية كل الأحداث.»[2]

فالزمن له حريته وأسلوبه الخاص في النص، يحدث تغيرات، ويولد حركة ونشاطا فيه. كما أنه يرتبط بكل الأزمان سواء الماضي أو الحاضر أو المستقبل.

2-الزمن في الشعر العربي

إن موضوع الزمن من الموضوعات التي أخذت حيزا كبيرا في الأدب، وقد شاع بصورة كبيرة في الشعر العربي القديم والحديث والمعاصر، فهذا الموضوع من بين القضايا الفلسفية أيضا التي أثرت في حياة الشاعر وذلك للتعبير عن حالته النفسية والاجتماعية وكذلك السياسية. فالعرب قد عاشوا في بيئة مختلفة وعرفت حياتهم العديد من التغييرات خاصة في شبه الجزيرة العربية، كما أن الشاعر «لا ينتبه إلى الزمن إلاّ حين يدرك أن تغيراً قد طرأ على حياته، ويكون هذا التغيير الذي

[1]-سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان- الدار البيضاء، د ت، ص233.

[2]- منذر عياشي، مقالات في الاسلوبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1990، ص233،234

يشعر به، في الغالب، نحو الأسوأ. لقد أحس الجاهلي بالتغير المستمر في حياته، ونسب ذلك إلى الزمن، وقد رأى فيه قوة مغيرة لا تخضع للتغيير.».[1]

إن فالزمن لا ينتبه إليه الشاعر إلاّ عند حصول شيء سيء في حياته فيحدث التغيير ويكتشفه، ويعتبر هذا الزمن هو القوة التي يستمد منه إلهامه وأن هذا التغيير يبقى عبر العصور وهذا ما يتحدث عنه الشاعر عمرو بن قميئة في ديوانه حيث يقول:

«فَزِعَتْ تكتمُّ وقالت عجيباً *** أن رأتني تغيَّر اليوم حالي

يا ابنة الخير إنما نحن رهنٌ *** لصروف فالأيام بعد الليالي

جلّح الدَّهر وانتحى لي وقدًما *** كان ينحي القوى على أمثالي

أقصدتني سهامُه إذْ رَمتني *** وتَوَلّتْ عنه سُليمى نبالي»[2]

ومن خلال هذه المقطوعة الشعرية، نرى أن الزمن له سمة أساسية وهي التغيير الذي يحدث فيفزع وهذا الفزع ظهر على الوجه بصيغة تكتم، ويظهر الشاعر متغير الحال وكذلك نلاحظ أن كلمتي الجلح والدهر هما أقوى للدلالة على تغير الزمن، لذلك نجده يتجلى في الشعر الأموي مع شعراء أمثال عمر بن أبي ربيعة والوليد بن عقبة، ثم إنتقل إلى العصر العباسي رفقة ابن معتز، وصولا إلى العصر الحديث مع الشعراء الرومانسيين حيث إستحوذ الزمن على حيز مهم في القصائد، فنجد خليل مطران يُعنون قصيدته« بالمساء» وميخائيل نعيمة يتخذ من فصول السنة عنوانا لقصيدته فسماها« أوراق الخريف». ولم يستغني الشعراء المعاصرون عن الزمن في قصائدهم والدليل على ذلك طغيانه في قصائد سميح القاسم.

[1]-طشطوش عبد العزيز محمد موسى وآخرون: الزمن في الشعر الجاهلي، (رسالة الماجستير)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة اليرموك، الأردن، 1986، ص38.

[2]-ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق وشرح: خليل إبراهيم العطية، دار صادر، ط2، بيروت، 1994، ص45.

فالزمن قد توقف عنده الشعراء في كل العصور، فهو عنصر أساسي في نظرة الشاعر إلى الحياة والأشياء المحيطة به.

3-تجليات الزمن في القصائد الأخيرة لسميح القاسم

المؤكد أن الإنسان قد مرّ في حياته بأحداث وعبر كثيرة منذ ولادته إلى مماته، وهو ما يسمى بالزمن الذي عاشه منذ الأزل وإلى الأبد، وهذه الأحداث التي عاشها قد أثّرت بلا شك على حياته إما إيجابا أو سلبا، ولهذا يستغل العديد من الأدباء والمفكرين وحتى الشعراء هذه الأحداث الزمنية في أجناسهم الأدبية، ويعبرون عنها بأحاسيس ومشاعر تصل إلى القارئ، وأكثر الأجناس تأثيرًا هي الشعر الذي يعبر به الشاعر عن هذه الأحاسيس والمشاعر برسم الأحداث عبر فترات زمنية مضَتْ. ويرى هيدغر أن الزمن«يرتبط جوهريا بالشاعر فله علاقته الوثيقة بالعالم الداخلي،كالانطباعات والانفعالات والأفكار. »[1]

وهذا ما يصادفنا عند سميح القاسم الذي يسترجع أجواء الحادثة التي وقعت له في السنوات الماضية في سيرته الذاتية "كولاج 3". فعبر عن كل المشاعر والأفكار التي تتفاعل بداخله، حين جاءه الموت، ورآه، حيث يقول:

أيها الإخوة الطيبون الكرام

ربّما تذكرونَ، فمن قبل خمسين عامْ

قال لي الموتُ، موتي الزؤام

إنه يشتهيني فتيا،

فلا تخذلوهُ إذا متُّ شيخاً عجوزاً،

وقولوا لهُ: أيها الموتُ

[1]-عبد الله السمطي، أطياف الشعرية، المجلس الأعلى للثقافة، بيروت، لبنان، 1997، ص32.

مات على دينِ شيخِ..غلاْم..»[1]

لقد عبر الشاعر عن تلك الحادثة وتحدى فيها الموت بطريقة هزلية ساخرة، وتحدث عن رغبة الموت به شاباً صغيرا، إلاّ أنّ القاسم خذله، وسيموت شيخاً ضعيفاً وقد استبدَّ به المرض الذي اجتاحه في سنة 2011.

كما مرَّ الشاعر بفترات زمنية عرف فيها أحداثا كثيرة منها السياسية والاجتماعية. إلاّ أنّ موضوع الموت استحوذ على فكره وأحاسيسه وظل يؤرقه، فذكره في عدة قصائد، وخاصة في القصائد التي كتبها في الفترة الأخيرة من حياته، فيقول في قصيدة "غوانتانامو":

«هنا يسهر الموتُ في اليوم دهرًا. وروح الحياةِ

تنام نهارًا ودهرًا تنامُ.»[2]

ويقول أيضاً :

«وجوهٌ وما من وجوهٍ. وصوتٌ ولا صوتَ. والوقتُ

لا يعرفُ الوقت. لا ضوءَ. لا همسَ، لا لمسَ، لا

شيء، لا شمس. ليلُ، وليلُ يحبُّ النهار»[3].

فمن خلال هذين المقطعين الشعريين من قصيدة غوانتانامو، يستدم أن الشاعر استخدم ألفاظا عن الزمن مثل (كالدهر، الوقت، اليوم)، كما أنه استعان بألفاظ من الطبيعة التي تدل أيضا على الزمن كالليل والنهار والشمس والضوء والصوت.

[1]-سميح القاسم، كولاج 3، ص3.

[2]-سميح القاسم، قصيدة غوانتانامو.

[3]-نفسه.

3-1-الزمن الماضي.

عبر سميح القاسم عن بداية مرضه في قصائده الأخيرة، وتذكر أحداثا زمنية ماضية وقعت في حياته، وهي ذكريات يخزنها ليعبر عن شعوره وأحاسيسه وتحديه الموت. وقد عبَّر الشاعر عن الموت بطرق شتى، وفيها يكشف عن حزنه ومعاناته مع المرض، إلاَّ أنه يتحداه حينا ويهزمه حينا آخر. فالمرض فلم يمنعه من الاستمتاع بما تبقى له من حياة، أو نسيان ماضيه الجميل، فيقول:

«الآن تذكَّرتك معذرةً

من فقدان الذاكرة كثيرًا

في غمرة شظف الأيام

ما أروع سهرتنا

الآن تذكَّرتك

ما أجمل ليلتنا

من ألفين وتسعة أعوام!

أتذكَّر..طبعاً .. أتذكَّر..»[1]

والملاحظ أن الشاعر وبسبب نزعته الدينية كثيرا ما يستحضر الأنبياء وبعض الحوادث الدينية باعثًا الأمل في نفسه، أو في نفوس المضطهدين. فيقول:

«أسرى الرسول إليكم أسرى

فِلستبشروا يا إخوتي الأسرى

ذكَّرتم .. وستنفع الذكرى

ويؤول ليل سجونكم ذكرى ..»[2]

---

[1]-سميح القاسم، كولاج 3، ص9.

[2]- -نفسه، ص2.

ثم يأتي بذكر المسيح الذي (عُذِّبَ في الأرض) وكرَّمه الله برفعه إليه، وأنه يوم القيامة سيبعث بعد موته ويشهد لأمته فيشفع لهم، فالشاعر يتمنى نيل الشفاعة ورحمة الله بعد العذاب الذي عاشه في الدنيا.

«لأن دماء المسيح تسحُّ على شرفة الأرض

من شرفة الآخرة

لأنَّ دموع النبيِّين تنفع ُ إن لم تع ُدْ تنفع الأسرة

وتشفع لِلُأمم الصابرة»[1]

كما وظف بعض الشخصيات الأسطورية القديمة كطريقة فنية لاستحضار الزمن الماضي وإسقاطه على الراهن والحاضر.

«إلى الصمت والموتِ في غوانتانامو؟

لإيكاروس العصر حكمةُ ذيذالوس العصر»[2]

ويقول أيضاً :

«ويسقط لإيكاروس العصر.تسقط حكمةُ

ذيذالوس العصر.»[3]

إن استحضار الزمن الماضي يدل دلالة واضحة على مدى تعلق الشاعر الشديد بماضيه وبالأحداث المهمة في حياته.

[1]-سميح القاسم: غوانتانامو،

[2]-نفسه.

[3]-نفسه.

3-2-الزمن المستقبل

ينتقل الشاعر من الزمن الماضي إلى الزمن المستقبل حسب ما يناسب حالاته المتراوحة بين تساؤلاته حول مصيره، وقلقه من المستقبل المجهول، وأحياناً عند الحديث حول مصيره المحتوم والموت الذي ينتظره.

غير أن الشاعر يتملّكه الإحساس بدنو الأجل والقدر المحتوم، فيستسلم لقضاء الله، معلنا:

«سأموت! أجل سأموت

إنما لا أموتْ

الميادين تذكرني والبيوت

فلأكن واقعيا إذاً

سأموت

ويكون السكوت

السكوت»[1]

ومن خلال عملية الصراع بين الموت والوجود. يأمل الشاعر في انبعاث جديد وفي عودة جديدة للأرض والوطن، بهذه الطريقة الفنية الجميلة يلبس الشاعر رداء الأسطورة ويصبح أكثر إيمانا بالبعث بعد الموت، فهو متأكد من عودته إلى رفيق دربه (الشعر)الذي رافقه في كل محطات حياته. إنه يعتبر الموت جسرا ينقل الإنسان من زمن الفناء إلى زمن الخلود، «فمهما يبلغ الإنسان من تطور فلا بدَّ أن يظل الصراع مستمراً بين زمن تاريخي واقعي وزمن لا نهائي -يسمى الخلود-

[1]-سميح القاسم، كولاج 4 (ضجيج النهارات حولي)، ص117-118.

، (أو على الأقل نوع من الانبعاث المتجدد) حتى يبلغ الإنسان مرحلة يعتبر الموت فيها جزءًا ضرورياً من الحياة»[1]

«أعلم أني سأولد من بعد موتي

وقد يتغير وجهي

وقد يتبدل صوتي

وأحلم من قبل موتي، ومن بعد موتي

بأي مكان، وفي أي وقتٍ

بأني أعودُ، وسوف أعودُ

لأهلي، وأرضي، وبيت جديد من الشعر

سوف أعود

وسوف أعودُ لبيتي»[2]

لقد استعمل القاسم أداتين للحديث عن المستقبل. حيث استعمل الحرف (سين) في قوله (سأموت) للدلالة على المستقبل القريب. واِستعمل الأداة (سوف) للدلالة على المستقبل البعيد.

كما وظف أداة النهي في الفعل المضارع حين قال:

« هنا مركزُ الكون.. في نارِ قلبي

فلا تخطئوا يا عباد

ولا تفرحوا بالرماد»[3]

---

[1]-إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989، ص69.

[2]-سميح القاسم، كولاج 4 (ضجيج النهارات حولي)، ص86.

[3]-سميح القاسم، كولاج 3، ص2.

كما وظّف أيضا أداة النفي في الفعل المضارع في قوله:

«من يحب الجميع

يكسدُ الحبُّ في سوقه

لا يبيع إذا حبَّه.لا يبيعُ

لا .. ولن يستطيع»[1]

وفي موضع آخر، يستخدم الشاعر أدوات الاستفهام التي يبحث من خلالها عن المجهول ومحاولة تفسير كل ما هو غامض، فيقول في قلق الأم على ابنها الأسير وشوقها إليه:

«ترى أين أنت؟

متى ستعودُ؟

وهل ستعودُ قبْلي رحيلي؟»[2]

ويقول في كولاج 4:

« أموت، وأولُد، ثم أموتُ، وأولُد، ثم أموت.. وأولُد

لا تسألوني متى؟ كيف؟ أين أموتُ.. وأولد؟»[3]

ويعبر الشاعر عن الزمن أيضا بإشارات زمنية مختلفة مثل، (الليل، النهار، الشمس الأبد، عام، أمس، مساء، صباح).

«عادني أمس كونفوشيوس

قال لي هادئا: قلق العيش أقسى من الموت، يا صاحبي»[4]

---

[1]- سميح القاسم، كولاج 3، ص3.

[2]-سميح القاسم، غوانتانامو.

[3]-سميح القاسم، كولاج 4 (ضجيج النهارات حولي)، ص86.

[4]-نفسه، ص74

ويقول:

«أيها الصيف يا صيف عامي الأخير

كنت كم كنت محتقنا بالدواء

بالحبوب وبالمصل والكيمياء

وببعض الكلام الخطير

عن صباحٍ وما من مساءٍ

أيها الصيف.»[1]

ويقول معبراً عن حزنه الذي دَام زمنًا طويلا، وتحول إلى هاجس يؤرقه:

«أنا المقيم على ليلٍ يؤرقني

فما رحلت.. ولا كابوسه رحلاَ

مكثت وحدي بلا صحبٍ أعاشرهم

على ديار غدت من بعدهم طللا

نهار القصير طويل

على دهر حزني

وليلي القصير طويل

على نار قلبي ودمعة عيني![2]

لقد انقلبت حياة الشاعر رأساً على عقب بعد مرضه، فلا ليله ليل ولا نهاره نهار، حيث أصبح دائِم القلق، واستحوذ على باله وتفكيره وعواطفه لحظة الرحيل.

[1]- سميح القاسم، كولاج 4 (ضجيج النهارات حولي)، ص 99.

[2]-سميح القاسم، كولاج 3، ص5.

4-المكان

4-1-مفهوم المكان

4-2-لغة

ورد في لسان العرب المكان على أنه «الموضع، والجمع أمكنة كقذال وأقذلة وأماكن جمع الجمع، قال ثعلب: يبطل أن يكون مكانا فعالا لأن العرب تقول: كن مكانك، وقم مكانك، واِقعد مقعدك، فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه»[1]

وجاء في مفهوم آخر: «(والمكان: الموضع) الحاوي للشيء، وعند بعض المتكلمين أنه عرض، وهو اجتماعي جسمين حاوي ومحوي، وذلك ككون الجسم الحاوي محيطاً بالمحوي، فالمكان عندهم هو المناسبة بين هذين الجسمين وليس هذا بالمعروف في اللغة.»[2]

ومن خلال هذه المعاجم اللغوية نرى أنها كلها تتفق على أن المكان هو الموضع.

وجاء المكان أيضا في القرآن الكريم وذلك لتبيين أمكنة مختلفة ومتنوعة من حيث الترتيب الزمني للعصور، ووردت لفظة المكان في قوله عز وجل: «واذكر في الكتاب مريم إذْ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا.» (سورة مريم/ الآية 16).

ويقول سبحانه وتعالى: «واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب» (سورة ق/ الآية 41).

4-3-المكان اصطلاحا

أما المفهوم الفلسفي للمكان فهو«المكان الأليف. وذلك هو البيت الذي ولدنا فيه، أي بيت الطفولة. إنه البيت الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة، وتشكل في خيالنا، فالمكانية في الأدب هي الصورة الفنية

[1]-ابن منظور، لسان العرب، مج13، دار صادر، ط1، بيروت، ص414.

[2]-الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج26، تح:عبد الكريم العزباوي، مادة: مكن، مطبعة الكويت، ط1، 2001، ص189.

التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة. ومكانية الأدب العظيم تدور حول هذا المحور.»[1] فالمكان هو المحور الأساسي للإنسان وبداية إنتاج أفكاره وتصوراته واعتقاداته وإليه تعود الذكريات. «ومن هنا كان للمكان في حياة الإنسان قيمته الكبرى ومزيته التي تشده إلى الأرض، ولا غرو فالمكان يلعب دورا رئيسيا في حياة أي إنسان، فمنذ أن يكون نطفة يتخذ من رحم الأم مكانا يمارس فيه تكوينه البيولوجي والحياتي، حتى وإذا حان المخاض وخرج هذا الحنين يشم أول نسمة للوجود الخارجي كان المهد هو المكان الذي تتفتح فيه مداركه وتنمو فيه حواسه من بصر وشم ذوق وسمع ولمس.»[2]

وأما المفهوم الدلالي للمكان فهو: «في حالات كثيرة ليس حيزا جغرافيا فقط، فهو أيضا البشر، والبشر في زمن معين، وهكذا انكشفت علاقة جدلية بين عناصر متعددة متشابكة ومتفاعلة، فالمكان يكتسب ملامحه من خلال البشر الذين عاشوا فيه، والبشر هم تخليص للزمن الذي كان وفي مكان محدد بالذات، وبالتالي فقد اكتسب الناس ملامح وصفات أثروا في المكان والزمان.»[3] والمكان هو ذلك الحيز أو الموضع الذي يتكون فيه الإنسان منذ ولادته إلى مماته، وهو الموضع الذي تبدأ من خلاله أحلامه وتصوراته. والمكان هو أيضا مصدر الإلهام للشعراء والأدباء وهو سلاحهم الذي استخدموه وشكلوا به الأجناس الأدبية بمختلف ألوانها.

5-المكان في الشعر العربي

يعتبر المكان رابطا أساسيا بين الشاعر وبيئته فهو مرآته التي تعكس الصورة التي يعيشها وقد وظّفه الشاعر لأنه «عنصر مهم لا تخلو منه النصوص الشعرية، غير أنه ليس مجرد إضافة

[1]-غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالي هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط:2، بيروت لبنان، 1984، ص6.

[2]-أحمد طاهر حسنين وآخرون، جماليات المكان، عيون المقالات، ط2، المغرب ، الدار البيضاء ، 1988، ص5.

[3]-عبد الرحمان منيف، سيرة مدينة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1944، ص5.

شكلية فارغة من المدلول، وإنما أصبح يشكل واحدا من مفاتيح النص الشعري».[1] فمن خلال العلاقة التي تربط الشاعر بالمكان أصبح هذا الأخير يشمل حيزا كبيرا من القصائد ويعتبر المفتاح الأساسي لها. كما أن الشاعر قد ارتبط بالمكان الذي ينتمي إليه،ولا يمكن أن يزيله عن نصوصه فهو يعبر عن حياته التي عاشها في بيئته منذ الولادة إلى الممات، فإذا لم يكن هناك مكان فلا يصبح الشاعر شاعراً. أما إذا كانت علاقة الشاعر بالمكان غير متينة فإنها«تغدو علاقة مهزوزة ومخلخلة وإن هذا الاهتزاز في العلاقة مع المكان يقود الشاعر إلى الانفصال عنه... وتشعر ذات الشاعر لأنها أصبحت خارج المكان والخروج عنه يحدث صدمة وهزَّة»[2]

وهذا ما نصادفه في الشعر العربي القديم الذي يصور المكان عبر المقاطع الشعرية الطللية حيث «أنتجت مخيلة الشعراء القدماء، صوراً عن المكان يندر أن تجد لها مثيلاً في الآداب العالمية، ولذلك استجاد المستشرقون المقطع الطللي في شعرنا القديم وحرصوا على ترجمته إلى لغاتهم...والمقطع الطللي تزدحم فيه العواطف والذكريات ويحضر فيه الشخوص والأحداث. فالطلل هو المكان بعينه، وحضور المكان ليس حضوراً مجرَّدا وإنما هو حضور لقيم أخرى تتعلق بالإنسان والحيوان والحياة والموت والحب الذي يمثل صورا أولية من صور حب الوطن، وقد تحول الحديث عن الأطلال في الشعر الجاهلي إلى التزام صارم حتى صار أحد الخصائص الفنية للقصيدة الجاهلية.»[3]

---

[1]-عاصم شرتح، جدلية الزمان والمكان: في قصائد (مشهد مختلف) لحميد سعيد، الثلاثاء 10 تشرين الثاني (نوفمبر) 2015، diwan alarab.com يوم الاطلاع 27 -05-2022 الساعة12:49.

[2]-بن بغداد أحمد، شعرية المكان في الشعر الجاهلي -المعلقات العشر أنموذجا-(رسالة دكتوراه)، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2016، ص57.

[3]-نجود هاشم الربيعي، تطور دلالة المكان في الشعر العربي الحديث، مجلة عود الند، العدد 6، خريف 2017، فصلية، السنة 12، مكتبة وارشيف الدكتور عدلي الهواري، السويد.

من خلال هذا القول، ندرك أن الشعر الجاهلي صور المكان بالأطلال التي كان يتحدث عنها وجعلها خاصية في القصيدة الجاهلية. ومن أشهر الشعراء في العصر الجاهلي الذين كتبوا في القصيدة الطللية، نذكر إمرأ القيس حيث يقول في معلقته المشهورة:

«قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزِلِ *** بسِقطِ اللّوى بين الدّخولِ فحَوْمَلِ

فتوضِحَ فالمِقْراةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُها *** لِما نَسَجَتْها من جنوبٍ وشَمْأَلِ»[1]

فإمرؤ القيس في هذه القصيدة يبكي على الأطلال وكان اكثر شهرة من شعراء عصره في هذا النوع من الشعر، وفي هذه القصيدة نراه حزينا على محبوبته التي فارقته، فاتخذ من بيتها الذي هجرته طللا للبكاء عليها واستحضار ذكرياتها.

ظل المكان يحتفظ بنفس القيمة على مر الزمن من العصر الجاهلي إلى العصر المعاصر مع التغيير في الصورة التي يأتي بها،ففي القديم كان عبارة عن بقايا ديار أما حديثا «قدمت المدينة الطلل في ثوب آخر تجددبه عهده .»[2]من هذا المنطلق نجد المكان أو الطلل حاضرًا عند الشعراء الرومانسيين،كما كان حاضرًا عند الشعراء القدامى ليؤدي نفس الوظيفة،فوقفة القدامى و الرومانسيين على الطلل« وقفة واحدة،ذات هم واحد، تتكرر فيها الأسئلة الأزلية، وكأن النص ما يزال مفتوحًا إلى الأبد.ووقفة"البحتري" على "إيوان كسرى"، ووقفة "عمر أبو ريشة" على "طلل روماني"، ووقفة " إلياس أبي شبكة " على "أطلال صور" ووقفة واحدة. وقفة النفس التي يقلقها السؤال، فتهرب من صمت المعرفة وجهلها إلى صمت المكان وعلمه المكنون.» [3]فنجد الشاعر في

[1]- المعلقات السبع مع الحواشي المفيدة للزوزني، تح: محمد خير ابو الوفاء، مراجعة: مصطفى قصاص، مكتبة البشرى، ط1، كراتشي، باكستان، 2011، ص10.

[2]حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية، إتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق،2001، ص17.

[3]نفسه، ص17.

العصر الحديث َيِنُّ إلى أماكن عاش فيها الصِبا أو إلى موطنه الأصل بعد الهجرة، فنجد إيليا أبو ماضي يستحضر وطنه في أحد قصائده بعد أن ذاقَ مرارة الغربة، فيقول:

«أرضَ آبائنا، عليك سلام *** وسقى الله أنفس الآباء.

ما هجرناك، إذ هجرناك، طوعًا *** لاتظني العقوق في الأبناء.»[1]

وفي قصيدة أخرى يذكر بلده الثاني مصر الذي قضى فيها شبابه معبرًا عن حنينه إليها قائلا:

«ليس الوقوف على الأطلال من خلقي *** ولا البكاء على ما فات من شيمي.

لكن (مصرًا) و ما نفسي بناسية *** ملكية الشرق ذات النيل والهرم.

صرفت شطر الصبا فيها فما خشيت *** نفسي العثار، ولا نفسي من الوصم.»[2]

وإستمر المكان بالظهور في الشعر العربي حتى وصل إلى الشعر المعاصر فنجد الشعراء يولون له أهمية كبيرة في شعرهم وهو ما ستظهره محاولتنا لدراسة المكان في قصائد سميح القاسم.

6-تجليات المكان في القصائد الأخيرة لسميح القاسم

أما الشاعر سميح القاسم فلم ينس في قصائده الأخيرة علاقته بالمكان، وهنا نلاحظ تعدد الأماكن التي تحدث عنها، ونبدأ أولا بأظرف المكان مثل: تحت، خلف، وراء كقول الشاعر:

«وقيدماء ٌ ، وقيُد دماْر

وراء الجدار، وراء الحديد وراء الجداْر

هنا قلقٌ لا يفيق. هنا أرقٌ لا ينام»[3]

واتبع الطريقة ذاتها في قصيدة العنقاء بقوله:

«وشظايا جسدي تبكي وتغني

---

[1]- ديوان إيليا أبو ماضي، دار العودة،دط،بيروت، 2007،ص21.

[2]- نفسه،ص21.

[3]- سميح القاسم، قصيدة غوانتانامو.

وتصلّي للحاضر فيها والغائب عنيِّ

خلف الآفاق السرية

ورمادي تحت الأنقاض يجادل»[1]

كما استخدم سميح القاسم كلمات تدل على أماكن معروفة كالبيوت والشوارع والمقابر غيرها من الأماكن التي جسدها الشاعر في قصائده الأخيرة.

وتصادفنا في قصائده الأخيرة عدة كلمات تدل على المكان مثل قُطرًا قطرًا، بيتاً بيتاً، زنقة، مقبرة، المقهى، الجامعة، وكلها أماكن عامة تجمع مختلف طبقات المجتمع، ويعانون من نفس المشاكل الاجتماعية والسياسية.

«ضيق ومضيق،

وتضيق الحلقات على حشرجة الأعناق وتمتد سلاسل

قطرا قطرا

بيتا بيتا

زنقة

زنقة

من دست الحكم إلى حكم من قاع الدست، هناك وهنا وهناك يفرَّخ كابوس سائب

وتهيج تموج تعجّ تضجّ

سرايا ميليشيا وكتائب

من باب البنك إلى جدول أسعار البورصة. من بئر

البترول

[1]-سميح القاسم، العنقاء

إلى منجم قصدير ونحاس حتى مقبرة الأجداد

ومقبرة الشهداء»[1]

وفي قصيدة "غوانتانامو" يصور الشاعر بطريقة فنية العذاب والظلم في غوانتانامو، وكلمة غوانتانامو أطلقت على سجن بالولايات المتحدة الأمريكية، وكان هذا السجن من أخطر السجون في العالم، ولا شك أن الشاعر استحضره في قصيدته متأثرا به، وذلك لتطابقه مع السجن الإسرائيلي والذي يسمى سجن جلبوع، أو الخزنة الحديدية، أو عند الفلسطينيين غوانتانامو الإسرائيلية نسبة لتطابق القوانين فيه وكل أنواع التعذيب النفسي والجسدي.

«هنا وطن الحزن من كلّ جنسٍ ولونٍ. هنا وطُن

الخوف والخسف من كلِّ صنف. هنا وطن

السحق والمحق والموت كيف تشاءُ المشيئةُ

موتُ تراب. وموت رخام»[2]

ويقول أيضاً :

«سوى غوانتانامو

لبرج المراقبة الجهم أن يستثير الرياح وأن

يستفز الجهات

وللحارس الفظّ أن يشتم الأمهاتْ

وللثكنات .. والأسلحة.»[3]

غير أنه من شدة تعلقه ببيته ووطنه يأمل العودة إليهما بعد وفاته.

---

[1]- سميح القاسم، العنقاء.

[2]-سميح القاسم، غوانتانامو.

[3]-المرجع نفسه.

«بأني أعود، وسوف أعودُ

لأهلي، وأرضي، وبيت جديد من الشعر

سوف أعود

وسوف أعودُ لبيتي»[1]

كما يستحضر الشاعر المجالس القضائية والبرلمانات التي أصبحت مثل الكافتيريات والمهرجانات حيث لا تنفع الإنسان بل هي أكثر ضراً بسبب قراراتها وقوانينها.

«كلام جميل عن العدل والظلم والحرب والسلم

في مجلس الحسن والصوت والأمن. في

في كافتيريا الرصيف. وفي البرلمان. وفي

المهرجان. وبين القضاة. وفي الجامعات كلاٌم

غزير. وحلو»[2]

ويستحضر الشاعر كذلك بعض المناطق والولايات من البلدان العربية، فهي أماكن يتعرض سكانها للمشاكل السياسية والآفات الاجتماعية ولا يختلف وضعها عن ما يعانيه الشعب التونسي.

«من" سيدي بو سعيد "إلى"بنغازي"

من تيطوان إلى وهران إلى حوران،

أضاءت حزن المنزل والشارع والحرارة.

من ليل الفسطاس إلى صنعاء إلى بغداد إلى بيروت

وعلى موسيقى القهوة والدلّة والمبهاج»[3]

---

[1]-سميح القاسم، كولاج 4 (ضجيج النهارات حولي)، ص86.

[2]-سميح القاسم، غوانتانامو.

[3]-سميح القاسم، العنقاء.

ولم يغفل القاسم عن ذكر الأماكن المقدسة عند المسلمين حيث أشار إلى أعظم مسجدين في تاريخ الإسلام بتوظيفه حادثة الإسراء والمعراج.

«وشمس تشرق

والإسراء لأقصى الثورة والمعراج

باسم الله يضيء القلب بجرح سراج»[1]

والشاعر هنا مؤمن بالله وبنصرة المظلوم في كل مكان وزمان. وفرج الله آتٍ بما يسعد قلب عبده الضعيف عاجلا أم آجلا.

المبحث الثالث: الموت في القصائد الأخيرة لسميح القاسم

يفكر الانسان دائما بعد وجوده في هذه الحياة والتمتع بكل ملذاتها، في علاقته بالوجود وبالقضايا الفلسفية الكبيرة، وتظل فكرة المصير المحتوم أو فكرة الموت تلازمه في حياته، فالموت والحياة يتلازمان ويتماشيان معا، فالأول يكمل الثاني والعكس صحيح. ومن خلال ما سبق، يؤكد هلال عبد الناصر في كتابه تراجيديا الموت أن «علاقة الانسان بالموت علاقة حياة، وإثبات أحدهما يعني في الوقت نفسه إثبات الآخر، وهذه العلاقة الجدلية تمنح الإنسان فرصة إدراك النقيض، فتبقى رغبته في الحياة أكثر حضورًا واستحواذا على مشاعره وفكره، لأنه يعرّف أن الموت قضاء على ما يعرفه، حتى وإن مارست الحياة قسوتها عليه[2]».

[1]- سميح القاسم، العنقاء.

[2]-هلال عبد الناصر، تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، مركز الحضارة العربية، ط:1، القاهرة، 2005، ص15

1-مفهوم الموت

1-1-لغة

إن كلمة الموت والحياة يتماشيان مع بعضهما البعض فنجد ابن منظور في لسان العرب يعطي لنا معنى الموت وهو ضد الحياة فيقول:«ا لموت خلق من خلق اللّه تعالى، غيره، اَلْمَوْتُ والموتانُ ضِدَّ الحياة، والمُوَاتُ بالضم: اَلْمَوْتُ، مَاتَ، يُموتُ، مَوْتًا»[1].

ويقول عن الموت أيضا:«والموت: السكون، وكل ما سكن فقد ماتَ، وهو على المثل[2]».

إذن ومن خلال تعريف ابن منظور للموت فهو خلق اللّه وهو ضد الحياة، كما أنه هو الراحة والسلام عند الموت، فالميت حينها يشعر بالسكينة ولا يستجيب للعالم الخارجي.

أما في قاموس المحيط فقد ورد تعريف الموت على الشكل التالي:" مَات يموتُ ويمات ويميت فهو مَيْتٌ ومَيِتٌ، ضدُ حيّ"[3].

كماجاء في مقاييس اللُّغة أن:" الميم والواو والتاء أصلٌ صحيحٌ يدُلُّ على ذهاب القوة عن الشيء منه الموتُ، خلاف الحياة. "[4]

إذن، تتفق المعاجم اللغوية على أن الموت والحياة متضادان. فهذان المصطلحان لهما علاقة قوية تربطهما ببعضهما البعض، فالحياة ما يعيشه الانسان بحلوه ومره وقضائه وقدره، أّما الموت فهو الضعف وعدم الاستجابة لما حوله ورجوع الجسد إلى خالقه. ولهذا نجد أيضا هذا التضاد في السور القرآنية، كقوله تعالى:"كَيْفَ تَكْفُرُونَ باللّه وكُنتُم أَمْوَاتًا فأَحْيَاكُم ثُمَّ يميتكم ثم يحييكم ثم إليه

---

[1]-ابن منظور، لسان العرب، م2، دار صادر، بيروت، 2003،ص90 و91.

[2]- المرجع السابق، ص91.

[3]-الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج:1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 2005، ص160.

[4]- ابن فارس أبو الحسن أحمد: مقاييس اللغة، م5، تح: عبد السلام هارون، اتحاد الكتاب العرب، ط3، د ب، 2002، ص228.

تُرجَعُون"،(سورة البقرة/الآية28)، ولقوله تعالى أيضا: "الَّذي خَلَقَ الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور."(سورة الملك الآية 2).

1-2-اصطلاحا

الموت هو السكينة والهدوء واطمئنان النفس والرجوع إلى ربِّها بعد أن عاش الانسان كل هذه الحياة، ويعرفها مصطفى حسيبة في المعجم الفلسفي بمفهومين: "المفهوم الديني: هو عبارة عن خروج الروح من جسم الإنسان، والانتقال إلى مرحلة الحياة الأخرى، التي تكون فيها الحياة خلودًا إلى مالا نهاية. أما المفهوم الفلسفي: قد صوّر أفلاطون الموت كخلاص يسمح للنفس بأن تتحرر من سجنها الجسدي وأن تتعرف إلى مصيرها"[1]

وورد تعريف الموت في كتب التفسير بأنه:" عدم إنصاف الجسم بالحياة سواء كان متصفا بها من قبل كما هو الاطلاق المشهور في العرف أم لم يكن متصفًا بها إذا كان من شأنه أن يتصف بها... ، والحياة ضدَّ الموت وهي في نظر الشرع نفخ الروح في الجسم، وقد تعسر تعريف الحياة أو تعريف دوامها على الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين تعريفًا حقيقيا بالحد وأوضح تعاريفها أنها قوة ينشأ عنها الحس والحركة"[2].

2-الموت في الشعر العربي

يعد الموت من أبرز الصور التي بُرزت منذ الأزل، وقد ضرب جذور هذا الموضوع في أعماق الفلسفة واهتم به الشعراء باعتباره مرحلة حتمية لا ينجو منها أي إنسان. وقد اختلفت قيمته من ثقافة إلى أخرى، وفي الثقافة العربية شيء مقدس باعتباره طريق يوصل إلى خالق الكون حيث

[1]-مصطفى حسيبة: المعجم الفلسفي، ص610،611 .

[2]-محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، الدار التونسية، ط1، تونس، 1984، ص376

يكرِّمالإنسان ويفوز بالجنة، أو يُهان ويلقى عذاب النار وهي حقيقة آمن بها العرب بعد الإسلام.

فيقول الشاعر:

«ولقد شهدت الخصم يوم رفاعة *** فأخذت منه خطة المقتال

وعلمت أن الله جازٍ عبده *** يوم الحساب بأحسن الأعمال »[1]

ويعتبر الموت أيضا انتقالمن الحياة الدنيا إلى حياة الأخرى فيُعرَّف على أنه «مفارقة الروح للبدن، وهو انتقال من دار إلى دار ...فهو وإن كان في الظاهر فناءًواضمحلالاً فهو في الحقيقة ولادة ثانية ..ولا هذا الموت لم يُكمل الإنسان، فالموت إذن ضروري في كمال الإنسانية ... وسبباً للانتقال من حال أوضع إلى حال أشرف وأرفع،سماه الله تعالى توفياً أو إمساكاً عنده.»[2]

بالإضافة إلى أن الإنسان الجاهلي أيضا يعيش قلقا من الموت وإن أحس باقتراب أجله عبَّر عن هذا القلق بطريقة أو بأخرى، ومنهم من يترك وصية قبل موته كتنبيه عن قُروب أجله، ومثال على ذلك جريبة بن الأشيم الأسدي حين أوصى ابنه قائلاً:

«ياسعد إما أهلكن فإنني *** أوصيك إن أخا الوصاة الأقرب

لا تتركن أباك يعثر رَجُلاً *** في الحشر يصرع لليدين وينكب

واحمل أباك على بعير صالح *** وابغ المطية إنه هو أصوب

ولعل لي مما تركت مطيةً *** في الحشر أركبها إذا قيلَ اركبوا»[3]

والحقيقة المرة التي أدركها الإنسان الجاهلي هي أن الموت رحلة تختلف عن كل الرحلات، فهي رحلة ذهاب بلا إياب.

---

[1]-الشهرستاني، المال والنحل، ج2، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ص244.

[2]-الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1983، ص115و116.

[3]-الشهرستاني، المال والنحل، ص244.

«وكل ذي غيبة يؤوب *** وغائب الموت لا يؤوب»[1]، تغيرت نظرة الإنسان العربي للموت بعد ظهور الاسلام فأصبح الموت عبارة عن مرحلة إنتقالية من نعيم الحياة إلى نعيم الآخرة لمن أحسن عملاً في الدنيا، ولكن هذا لم يمنع الموت من أن يشكل قلقًا وخوفًا في النفس وهو ما يتجلى في شعر الخنساء فتقول:

«ما لذا الموت لا يزال مخيفًا *** كل يوم ينال منا شريفًا

مولعًا بالسراةِ فيأخذُ *** فما يأخذُ إلا المهذب العِطريفَا

فلولا أنَّ المَنونَ تَعْدِلُ فينا *** فتنال الشريف والمشروفا.

كان في الحق أن يعود لنا الموتُ ***وأن لا نسومه تسويفًا

أيها الموتُ لو تجافيت عن صَخْر. *** لألفيته نقيًا عفيفًا.

عاش خمسينَ حجَّةً يَنْكُرُ المنكَرَ *** فينا ويبذُلُ المَعروفَا.

رحمه اللّه والسلاُم عليه *** وسقى قبره الربيع خريفًا.»[2]

وكلما تقدم الزمن أصبح الموت يشكل هاجسًا أكبر لدى الانسان بعد أن أصبح أكثر إيمانًا بفكرة أن مصير كل حيٍّ الموت المحتوم. فنجد الشاعر العباسي يدعو الى ترك الدنيا الفانية والعودة إلى الله قبل فوات الأوان فيقول:

«ياجامع المال والأيام تخدعه ***خوفًا من الفقر هذا الفقر و العدم.

أسأْتَ ظَنَّكَ بالله الذي خَضَعَتْ *** له الرَّقاب فشابت قلبك الظُّلَم.»[3]

---

[1]- احمد الامين الشنقيطي: شرح المعلقات العشر واخبار شعرائها، تح: محمد عبد القادر الفاضلي، دار النصر للطباعة والنشر، دط، 2005، ص173.

[2]ديوان الخنساء،شرح: حمدو طمَّاس، دار المعارف، ط:2، بيروت، لبنان، 2004،ص84.

[3]أبو العتاهية،أشعاره وأخباره،تح: فيصل شكري، دار الملاح للطباعة والنشر،دط، دمشق،1965،ص676.

إستمر قلق الموت في الإنتقال من عصر لأخر إلى أن وصل به المطاف إلى الشعر المعاصر،وهو ما يتجلى في قصائد سميح القاسم و سنحاول إستظهار في هذه الدراسة.

3-تجليات الموت في القصائد الأخيرة لسميح القاسم

لقد عرف الشعر المعاصر عدَّة قضايا ومواقف سواء كانت سياسية أم اجتماعية، فكانت القضية الفلسطينية هي محور معظم الشعراء كمحمود درويش، وسميح القاسم، توفيق زياد، محمد القيسي ونزار قباني. وغيرهم من الشعراء، كما أصبحت القضايا الاجتماعية محل اهتمام الشعراء كنازك الملائكة وبدر شاكر السياب وغيرهما. وفي الوقت ذاته ظهرت قضية جديدة هي فكرة الموت التي شغلت الشاعر العربي منذ القديم. إلا أنها شاعت في الشعر المعاصر مع نخبة من الشعراء ومن بينهم الشاعر الفلسطيني سميح القاسم الذي تحدث عن الموت في شعره، وهذا الموت جاء بصور ومسميات مختلفة منها: الاستشهاد، موت الأم، الموت في الغربة، وموت الذات وهذا الأخير هو الذي شاع بين الشعراء، من خلال علاقة الترابط الموجودة بين الشعر والموت، فقد أكد هلال عبد الناصر على هذا الترابط حين قال:« ويظل الشعر أكثر الفنون ارتباطا بالموت، لأن الشعر يرينا جوهر الأشياء لا ظواهرها، ويذهب بأهم أدوات التعبير إلى ميتا-اللغة بعيدا عن جوهرها الذي نطالعه مباشرة، بل يتعدى إلى ميتا-اللغة، لأنها تخضع لتجربة الشاعر التي تعد في جوهرها انفعالا جماليا.»[1]

فهذا الارتباط يتميز بلغة التعبير ويولد انفعالا في قصائده، وهذه اللغة تصبح أكثر متعة وجمالا عند كتابته في موضوع الموت، فتنفجر أحاسيس الشاعر لتمارس تأثيرها السحري في المتلقي. وهذا ما نصادفه عند سميح القاسم الذي تحدث عن الموت في قصائده خاصة القصائد الأخيرة التي كتبها في مرحلة المعاناة والصراع مع المرض قبل موته، ففي قصائد "هواجس لطقوس الأحفاد"

[1]-هلال عبد الناصر، تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، ص17.

ينفعل الشاعر من شدة سخطه على الوضع المزري الذي عاشه هو وأقرانه حالما بحياة أفضل للأجيال التي من بعده. فيقول:

«وشعر بلون الرماد وطعمِ الرماد

نسميه نحن رماد السنين

وترحل أفكارنا عبر أكتافهم للبعيد

ونقلق كيف ستوغل أيامهم في احتباس الحرارة

يوما فيوماً وسوف يذوب -كما يزعمون-الجليد

فكيف سيعرف أحفادنا كيف كان الجليد

وطعم الفواكه والخضروات يغادر طعم الفواكه والخضروات

وفي عهد أحفادنا هل يكون

للون الفواكه لون الفواكه؟ كيف يكون

على عهد أحفادنا الفلّ والورد والياسمين»[1]

وقد ذهبت الشاعرة والناقدة نازك الملائكة إلى أن ارتباط الشعر بالموت لا يمكن فصله عن الانفعال، فهذه العناصر تشكل وحدة ثلاثية، وكل عنصر يكمل الآخر،« ومن ثم يتكون في حياة الشاعر الانفعالي مثلث من القيم زواياه الثلاث هي: الانفعال والشعر والموت. فالشاعر يحب الانفعال لأنه يؤدي إلى الشعر على أنه يلاحظ أن الانفعال هو الموت لأن الأول طريق محتوم إلى الثاني ...ومن ثم تبدأ مرحلة من الغرام بالموت نفسه تقابل الغرام بالشعر حتى تصبح الألفاظ الثلاثة في معنى واحد.»[2]

[1]-سميح القاسم، هواجس لطقوس الأحفاد، ص6.

[2]-نازك الملائكة، قضايا الشعر العربي المعاصر، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1978، ص315.

وقد ارتبط الانفعال بالموت في شعر سميح القاسم حين تحدث عن الموت والمصير لمحتوم.

«سأموت! أجل سأموت

إنما لا أموت

الميادين تذكرني والبيوت

فلأكن واقعيا إذاً

سأموت

ويكون السكوت

السكوت»[1]

كما ظهرت نبرة الحزن في الشعر العربي المعاصر حيث أضافت جمالا وثراءً للقصيدة، والحقيقة إن «نزعة الحزن في شعرنا المعاصر قد أضافت إلى التجربة الشعرية بعامة آفاقا جديدة زادتها ثراء وخصبا. ومهما يكن تقديرها في الميزان الأخلاقي أو العرفي أو غيرهما فإنها قد ولدت طاقات تعبيرية لها أصالتها وقيمتها»[2]

وقد ظهرت نبرة الحزن في شعر سميح القاسم، وخاصة في قصائده الأخيرة التي كتبها بعد أن اشتد المرض عليه، واستبدت به المعاناة، حيث فقد الإحساس بلذة المناسبات والاحتفالات، لذلك لا نبالغ إن قلنا إن الحزن طغى عليه في كل الأوقات، وهو ما يبرزه في شعره الأخير.

«بلا شمعة بلا دمعةٍ

وبلا فلّة

بلا سوسنة

---

[1]-سميح القاسم: كولاج 4 (ضجيج النهارات حولي)، ص117-118.

[2]-عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، ط3، القاهرة، مصر، 1966، ص372.

تمر ببالي

هواجس عام طويلٍ، عريض

وأحلام جسمي المعافى

وآلام جسمي المريض»[1]

يبدو واضحا أن الشاعر أصبح على يقين من اقتراب أجله، وأصبح أكثر قلقا. إلاّ أنه على يقين بأنه سيبقى خالدا بعد مماته بموروثه الشعري الذي خلّفه مع الكثير من الأشياء الجميلة التي قدمها في سبيل القضية الفلسطينية. فإذا مات الإنسان يبقى عمله حياً يخلد اسمه وهو ما يبينه محمد القيسي حين قال أنّ «الموت لا يمحو الأشياء والجهات، ولعله في أحد وجوهه ذروة التوهج الفائقة للحياة، لكنه يظل اللائحة المحيرة التي يقف أمامها الإنسان طويلاً.»[2]

وهذا ما يتجلى عند سميح القاسم الذي كتب في شعره عن موضوع الموت الذي لاحقه منذ الطفولة، حين هُدِّد بالقتل وهو رضيع في طريق العودة إلى فلسطين. حيث بكى الطفل فخاف الركاب من بطش الطائرات الألمانية، فحاولوا قتله، إلاّ أن والده دافع عنه. ولاحقا سمع القاسم هذه الحكاية فقال:(حسنا حاولوا إخراسي منذ الطفولة، سأريهم سأتكلم متى أشاء وفي أي وقت وبأعلى صوتي، لن يقوى أحد على إسكاتي)[3].

إذن فسميح القاسم تعرض للموت منذ الأيام الأولى من حياته، وهدد بالقتل أكثر من مرة، كما تعرض لعدة حوادث كادت تودي بحياته، وهذا ما ذكره في "كولاج 3"، حيث قال:

«أيها الإخوة الطيبون الكرام

---

[1]-سميح القاسم: كولاج 4 (ضجيج النهارات حولي)، ص45.

[2]-ملاك سعيد محمد شعبلو، رؤية الموت في شعر محمد القيسي، (أطروحة الماجستير)، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، عمان، الأردن، 2016، ص9.

[3]-ينظر، إحسان الدين ونادر قاسم، شهادات في الشاعر الكبير المرحوم سميح القاسم، حفل التأبين، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2014، ص9.

ربَّما تذكرون، فمن قبل خمسين عام

قال لي الموت، موتي الزؤام

إنه يشتهيني فتيًّا

فلا تخذلوهُ إذا متُّ شيخاً عجوزاً

وقولوا لهُ: أيها الموتُ

مات على دينِ شيخِ.. غلاْم..»[1]

يبدو أن الشاعر تلقى صدمة كبيرة هزته من الأعماق حين أخبره صديقه البروفيسور جمال زيدان بإصابته بالمرض للمرة الثانية، فقد أكد هذا الطبيب المعالج صدمة الشاعر عندما عَلِم بشدة خطورة المرض الذي أصابه والفترة القصيرة التي سيعيشها من دون علاج والمتمثلة في شهر وبضعة أيام كأقصى تقدير.[2]ورغم الصدمة التي تلقاها، إلا أنه وقف شامخا كالسنديانة الفلسطينية وصمَّم على مواجهته والتغلب عليه. ويقول الشاعر في إحدى المقابلات الصحفية «السرطان تورَّط بي...وأنا الذي سأقتله». [3]وقد ساعده إيمانه القوي في التغلب على هذا المرض والعيش معه لمدة تفوق ثلاث سنوات، وبما أن هذا المرض ابتلاء من الله وكل مؤمن يتعرض للابتلاء، فقد استقبل هذا المرض بصدرٍ رحب حيث يقول: «إذا قلت لك إن هذا لم يؤثر علي مطلقا فهذا سيكون كلاماً وادعا غير مبررين. أنا لا أدعي البطولة، ولكن أنا لي قناعات وإيمان. قناعاتي أنه لا يوجد إنسان يحق له أن يقول: لا، يحدث مع غيري ولا يحدث معي.»[4]

«وإن جئتني سوف أمشي معك

---

[1]-سميح القاسم: كولاج 3، ص3

[2]-ينظر: إحسان الدين ونادر قاسم، شهادات في الشاعر الكبير المرحوم سميح القاسم، ص28.

[3]-نفس المرجع السابق، ص15.

[4]-يحي زكريا الأغا، سميح القاسم في ظل الغياب، الدوحة، قطر، د ط ،2015، ص277.

وإن أردعك

سأمشي بساقين لا من قصب

ولا من تعب

ولا من خشب

سأمضي وراءك»[1]

غير أن تحدي الشاعر للمرض بدأ في التراجع. ريدا، رويدا، بدأ الشاعر يجر علامات الهزيمة. وهذا ما لم يتقبله الشاعر الذي طالما تمنى أن يواجه الموت وهو في كامل قوته. فيقول:

«أسأل الله أن أعيش بعقلي *** كل عمري.. وأن أموت بعقلي

لا تقل لي عش كيف كان فإن *** العيش حلو مذاقه. لا تقل لي

ما حياة -بدون عقل-وموت *** يا إلاهي رفقا بنفسي.. وأهلي!»[2]

ومن تحدي المرض انتقل الشاعر إلى تحدي الموت فَإخفاقه أمام المرض لن يمنعه من مشاكسة الموت وتحديه قليلا، فيقول:

«يشاكسني الموت،

في لعبة الموت،

لا بأس فالموت يعلم

أنّي صديق مشاكس

ويفقه أن طريق الحياة

طريقي الطويل العريض ..المعاكس»[3]

---

[1]-سميح القاسم: بغض النظر، منشورات إضاءات، الناصرة، فلسطين ،2012، ص86،87.

[2]-سميح القاسم، العنقاء وقصائد أخرى، منشورات إضاءات، 2012، ص77.

[3]-سميح القاسم، كولاج 3، ص5.

فها هو القاسم يستهزأ بالموت حتى وهو في كامل قوته،فكان يتوقع أن يستشهد على يد العدو فيرحب به ويقدم له واجب الضيافة ويكرمه على فعله، لأنه قدم له ما كان يتمناه.

«يستطيع العدو العزيز. كما يشتهي

أن يصبَّ الرصاص على جثَّتي

وأنا، سأصبُّ دمي فوق جبهته

وأصبُّ له قهوتي

وإذا شاء أن ينتهي

يستطيع العدوُّ اللدود

أنا شئت ما أشتهي،

ينتهي»[1]

لم ينل الشاعر مُرَادَهُ في الاستهزاء بالعدو، وهو يلقى حتفه على يده ولكن هذا لا يمنعه من الاستهزاء بالموت وهو في عزِّ ضعفه، فيعتبره مجرد رحلة يغتنم فيها الفرصة ليستمتع بها ويختار لها الوقت المناسب والفصل الجميل.

«أيُّها الصَّيفُ

قل لي وكن صادقاً -هل يكون الخريف

مشهداً لتساقط شعري الرمادي الخفيف

في تساقط عريي، وعَرْي الشجر

أم تضيق حدود الخطر

ويضيق الكلام المخيف.

[1]-سميح القاسم، كولاج 3، ص9.

من هبوب رياحي، وريح السفر.»[1]

فالشاعر إذن جاهز للسفر، وقد اختار للسفر أجمل فصول السنة وهو الصيف.

«أيها الصيف يا صيفي عامي الأخير

كنت كم كنت محتقنا بالدواء»[2].

وبما أن السفر ليس رحلة أبدية بل هو مرتبط بالعودة في يوم من الأيام، فالقاسم يعدنا بالرجوع إلى الوطن والشعر يوما ما.

«سوف أعود

وسوف أعودُ لبيتي

اموتُ ، وأولَدُ، ثم أموتُ، وأولَدُ، ثم أموتُ..واُولَدُ

لا تسألوني متى؟ كيف؟ أين أموتُ.. وأولَدُ؟ »[3]

وبعد تحدي الموت والاستهزاء به، بدأ المرض يشتَّد على الشاعر ويثقل كاهله، وأحس بخطورة حالته، وهنا دخل الشاعر في مرحلة القلق واليأس، فالشاعر ليس أسطورة من الخيال، بل هو بشر يهاب الموت، فكل إنسان يشعر ولو القليل من القلق اتجاه الموت.

«عادني أمس كونفوشيوس.

قال لي هادئًا: قلق العيش أقسى من الموت، يا

صاحبي

قالها وانطلق

تاركًا ظله

---

[1]-سميح القاسم، كولاج4، ص99.

[2]-المرجع السابق، ص99.

[3]- المرجع السابق، ص86.

وصدى صوته

وأنا.. والقلق»[1]

بل إن الشاعر وكلما اشتد عليه المرض تيقن من اقتراب أجله، وأن الموت سيقضي عليه، ولا مفر. فلم يتبقى له سوى الدعاء ورجاء العفو والمغفرة من اللّه.

«وظهر المصير

لأنك كنت ما زلت ما أنت. أنت.

الغفورُ الكريم القدير

ومازلت ماكنت مازلت وما أنت

معنى القضاء وسُر القدْر.»[2]

وفي الأخير يستسلم القاسم للمرض الذي كان أقوى منه ويمنح قلمه الراحة والصمت عن الحديث، فبعد الآن لا شكوى ولا بوح حيث تبقى الآلام والمعاناة مدفونة في الشاعر حتى يتسنى له الرحيل. وهذه كانت آخر محطات الشاعر مع المرض، حيث كان القلم من أعز أصدقائه ولم يتوقع أن يتخلى عنه يومًا ما.

«لك الآن ألا تبوح

لك الآن أن تستريح

غموضك أنت

لك الآن ألا تقول كلامًا جديدًا

فصمتك صار نشيدًا

[1]-سميح القاسم، كولاج 4، ص74.

[2]-سميح القاسم، هواجس لطقوس الأحفاد، ص10.

ونجمًا على كل أفقٍ يلوح.»[1]

وبقي سميح القاسم يصارع الموت حتى آخر رمق من حياته، ثم أخذه الموت في صبيحة يوم 19 أوت 2014 بعد صراع مع مرض السرطان، ومات وهو مرفوع الهامة، منتصب القامة.

وقد ترك لنا الكثير من الأعمال والدواوين التي دافعت عن عدة قضايا، وأهمها القضية الفلسطينية التي ظل يدافع عنها وهو في عزِّ مرضه.

[1]-سميح القاسم، كولاج 4، ص49.

الفصل الثاني

التصوير الفني وتشكيل رؤية الشاعر

المبحث الأول: الصورة الشعرية

1-تعريف الصورة

1-1-لغة

وردت في القاموس المحيط بمعنى النوع:«الصُّوَرَةُ ، بالضَّم: الشَّكْلُ، ج: صُوَرٌ وصِوَرٌ... وقد صَوَّرَهُ فتصوَّر، وتستعمل الصُّوَرَةُ بمعنى النَّوْعِ والصِّفَةِ.»[1]وجاءت لفظة صورة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم محملة بعدة معاني تختلف من آية لأخرى، ففي قوله تعالى: «خلق السماوات والأرض بالحق وصوَّركم فأحسن صُوَرَكُم وإليه المصير.»سورة التغابن، الاية:3. وقوله:«هو الذي يصوركم في الأحام كيف يشاء لا إله إلاَّ هو العزيز الحكيم.» سورة آل عمران، الآية:6. وجاءت الصورة بمعنى الخلق أي الشكل والمواصفات التي خُلِقَ بها الانسان حيث يختلف الناس في الشكل واللون وهذا من عظمة الله تعالى.

1-2-الصورة الشعرية-اصطلاحا

لقد وردت الصورة عند غنيمي هلال في كتابه النقد الأدبي الحديث بأنها: «الوسيلة الفنية لنقل التجربة... في معناها الجزئي والكلي، فما التجربة الشعرية كلها إلاَّ صُورة كبيرة ذات أجزاء هي بدورها صُوَر جزئية، تقوم من الصورة الكلية مقام الحوادث الجزئية من الحدث الأساسي في المسرحية والقصة.»[2]

---

[1]-فيروز آبادي، القاموس المحيط، تح:أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، مج:1، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص955،956.

[2]-محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، مصر، القاهرة، 1997، ص417.

فالصورة في العمل الفني نقل أو تمثيل للواقع ولكن لاتنقل هذا الواقع حرفيًا وإنما تنقل فقط بعضا من جوانبه وبطريقة واضحة.

وبعد الثورة التي أحدثتها الرومانسية في الشعر العربي، شهدت الصورة الشعرية تطورًا في مختلف الجوانب بعد أن هاجم الشعراء المجددون قواعد البلاغة القديمة الواضحة المحددة، التي لا تتسع لعواطفهم وتخيلاتهم والاشكالات التي تواجههم في هذا الزمن الجديد التي لا تخدمه البلاغة العربية القديمة، وإنما تستدعي أساليب جديدة تتماشى مع متطلبات العصر كالأسطورة والرمز وغير ذلك، وماساهم في التخلص من هذه السهولة والوضوح في الصورة الشعرية الذي يواكب هذا العصر.[1]ومن الصور القديمة التي تسعى البلاغة الحديثة إلى التخلي عنها هي التشبيه والاستعارة إلاّ أننا نجدها حاضرة في الشعر المعاصر ولو بنسبة قليلة.

2-الصورة التشبيهية

يعرف جابر عصفور التشبيه بأنه«صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لامن جميع جهاته وأنت عندما تقول «خد كالوردة»، فإنك تعني أنك تتحدث عن خد يشبه الوردة في حمرة أوراقها وطراوتها ونضارتها ورائحتها.»[2]

بمعنى المشبه لا يمكن أن يكون مطابقا للمشبه به من كل الجوانب بل في البعض منها فقط، فالمثل الذي قدمه يبين فيه أن الخد ليس وردة بحد ذاتها وإنما يماثلها فقط من حيث الرائحة واللون والملمس وغير ذلك.

[1]-ينظر: السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الابداعية، دار المعارف، ط2، 1983، ص113،114.

[2]-جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، 1992، ص173.

وقد كان التشبيه أكثر انتشارا في العصور الأدبية القديمة وذلك يعود لاعتماد الشعراء على المنطق العقلي أكثر من الاجتهاد في استعمال الخيال عكس شعراء الرومانسية الذين أطلقوا العنان لخيالهم وانتشرت بحوزتهم الاستعارة.[1]

إنَّ الصورة الشعرية التي هي أوسع نطاق من التشبيه والاستعارة لم تلغ دور التشبيه، فالتشبيه الخصب والاستعارة الذكية يمكنهما أن يصلا إلى مستوى الصورة الشعرية.[2]

فرغم ضرورة التجديد في الصورة الشعرية لتواكب عصرها إلا أنه لا يمكن الاستغناء عن التشبيه الذي يعتبر أقدم الصور، فالتشبيه الجيد الخصب الذي يؤدي وظيفة فنية جمالية تتجسد فيه الصورة الشعرية لذا لايمكن التخلي عنه، فمن خلال قصائد سميح القاسم الأخيرة نجد التشبيه حاضرًا ولو بنسبة ضئيلة، فقد استخدم التشبيه البليغ الذي يحمل فقط ركنين أساسيين من التشبيه هما المشبه والمشبه به.

«اللوحة قشرة لوز مرهقة

والريشة... منقار

فارسم يا نقار الخشب.. وماذا ترسم؟كيف وأين

سترسم»[3]

في هذا المقطع وظف الشاعر تشبيهين بليغين الأول يشبه فيه ريشة الرسم بمنقار في حدَّتها وتحديد معالم الشيء المرسوم وكأنه منحوت على الخشب، أما في الثاني فهو يشبه الرسام بنقار الخشب من حيث الأداة المستعملة في الرسم والنحت وهي الريشة والمنقار.

[1]- ينظر: جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص199.

[2]-ينظر:عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص143.

[3]-سميح القاسم، قصيدة العنقاء.

«يافارس تونس

يا عنقاء العرب الكبرى

يا موَّال العرب وأغنية البربر

ونشيد الوطن الأحلى والأعلى والأغلى»[1]

هنا يشبه البوعزيزي بالفارس في شجاعته فناداه بفارس تونس، كما شبهه بطائر العنقاء الأسطوري الذي يقتل نفسه حرقا بعد أن يعيش مئات السنين ويبعث من جديد.ثم يشبهه بموال العرب ونشيد الوطن الذي يبقى على ألسنة الشعب ولا ينسى، فقصة البوعزيزي لن تنسى لو مرَّ عليها مئات السنين.

ولم يغب التشبيه في سيرته الذاتية المعنونة بِ "كولاج 3" التي صدرت في مرحلة مرضه فكانت أنيسه في فترة العلاج عبَّر فيها عن فترات الضعف والقوة التي مّر بها في حياته فمّرةً يشبه نفسه بالنمر في قوته وشجاعته، ويشبه أصدقاءه الذين خذلوه وغدروا به بالغزلان الجبناء. فيقول:

«أنا نمرٌ نباتيٌّ

ولي من أصدقاء السوء غزلان تحبُّ اللحم

لكني بلحمي المرِّ والقاسي

خذلت غريزة الناب البدائية

وأسناني النباتية

تطيل الضحك حين تطلُّ غزلاني.»[2]

[1] -سميح القاسم، قصيدة العنقاء.

[2] -سميح القاسم، كولاج 3، ص10.

ورغم الخبرة التي يتلقاها من هؤلاء الأصدقاء إلاّ أنه دائم الابتسامة في وجوههم.

ثم يشبه نفسه بالرماد فهاهو قد استنفذ كل طاقته ولم يبق له شيء يقدمه لا للصديق ولا للعدو، فقد كان مصدر الدفء والنور في الظلام والأن قد انطفأت شعلته بعد أن أثقلته الهموم وأصبح رمادًا.

«والبرق يضرب مرتين ثلاث مرات ويضربُ

مرَّةً أو ألف مرة

وأنا رماد البرق

قد تجدون في رمضاءِ روحي البرقِ

جمره!»[1]

3-الصورة الاستعارية

من الصور الفنية التي يستحضرها الشاعر المعاصر في شعره نذكر الاستعارة التي لا يمكن الاستغناء عنها باعتبارها علاقة لغوية تقوم مقام التشبيه رغم الاختلاف الموجود بينهما وهذا ما بينه جابر عصفور في قوله حول الاستعارة:«علاقة لغوية تقوم على المقارنة،شأنها في ذلك شأن التشبيه، لكنها تتمايز عنه بأنها تعتمد على الاستبدال أو الانتقال بين الدلالات الثابتة للكلمات المختلفة،وأقصد بذلك أنَّ المعنى لا يقدم فيها بطريقة مباشرة،بل يقارن أو يستبدل بغيره على أساس من التشابه»[2]. والفرق الذي تحدث عنه يتمثل في كون الاستعارة تفهم من خلال المعنى وذلك لأنها تتخلى عن أحد طرفي التشبيه الأساسيين عكس التشبيه الذي لا يمكن الاستغناء عن أحد طرفيه، وقد حظيت الاستعارة باهتمام البلاغيين. فيعرفها أبو هلال العسكري في قوله بأنها:«نقل العبارة عن

[1] -سميح القاسم، كولاج 3، ص10.

[2] -جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص201

موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إمَّا أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو بحسن المعرض الذي يبرز فيه.»[1]

وفي كتاب العمدة جاءت الاستعارة على أنها:«ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصلي،ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكها بقرب التشبيه، ومناسبة المستعار للمستعار له،وامتزاج اللفظ بالمعنى يوجد بينهما منافرة»[2]،بمعنى أنها تتخلى عن أحد طرفي التشبيه ولكنها تؤدي وظيفة فنية جمالية بنفس الطريقة التي يؤديها التشبيه.

وجاء استخدام الاستعارة في الشعر المعاصر بما يخدم الموضوع الذي يطرحه الشاعر ليقدمه بأسلوب أكثر دقةٍ وجمالاً، وهو ما نلاحظه في الشعر الأخير لسميح القاسم حيث استخدم الصور التي تناسب حالة الحزن والخوف والقلق التي يعيشها بسبب القضايا التي يعبر عنها أو الحالة الناتجة عن مرضه، فيستحضر الاستعارة في قوله:

«لدمي..يبكي ويغني

محتقنًا.مضطربًا

بين يدي حزني

وعذابات حياتي اليومية»[3]

[1]-أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمود البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط2، ص274.

[2]-ابن رشيق القيرواني، في محاسن الشعر وآدابه، دط، دت، ص163.

[3]-سميح القاسم، قصيدة العنقاء.

فمن شدَّة الحزن الذي سيطر عليه جراء الحادثة المفجعة في تونس، يشبه الشاعر هذا الحزن بالإنسان الذي يملك القدرة على التحكم به، فيتلاعب به بين يديه كيفما يشاء، وقد بلغ به الحزن إلى أن يشبه جسده الذي ضحى به حرقا لابراز مدى الظلم الذي يعاني منه بالمتفجرات، فسمى بقايا جسده بالشظايا التي تتناثر من المتفجرات وشبه الشظايا بدورها بالعيون من خلال بكائها فيقول:

«في أحزان الكثبان المنسيَّة

ميِّتةٌ.منفية

لكن البشرة. في قشرتها الصلبة مازالت حيَّة

البذرة مازالت حية

وشظايا جسدي تبكي وتغني»[1]

وقد خاض القاسم في أعماق الاستعارة ووظفها بشكل واسع في قصائده،فيصور لنا كيفية انتشار الباطل والظلم وغياب الحق،فيقول:

«والغضب يماطل

وذراع الحقِّ تكبِّلها أذرع الباطل

والحابل يذبحه النابل»[2]

وهنا يشبه الحق بالإنسان الضعيف والباطل بالإنسان القوي الذي يهضم الحق والدليل على ذلك امتلاك كل منهما ذراعا، لكن أحدهما أقوى من الآخر حيث انتشرت الفوضى وزُهِقَ الحق،

[1] -سميح القاسم، قصيدة العنقاء.

[2] - نفسه.

فيصور هذه الفوضى في السطر الثاني حيث الباطل بالحابل والحق بالنابل وهما أسماء لجنود في الجيش قديمًا، حيث يكلف الأول بإمساك حبال الخيول،والثاني يرمي السهام وعند اشتداد المعركة وانتشارغبارها تختلط الأمور فلا يُعرف الحابل من النابل.ونرى الشاعر عند اشتداد الحزن والآلام عليه يقول:

«والحزن شجاع وصريح

والجرح يصيح»[1]

وهذا دلالة على شدة الحزن وعمق الألم فوصف الحزن بالشجاعة وهي صفة الأسد والصريح هي صفة الإنسان النبيل، وقد انتشرت ظاهرة الحزن في معظم قصائد سميح القاسم خاصة في قصائده الأخيرة حيث أصبح الحزن يشكل « محورا أساسيا في معظم ما يكتب الشعراء المعاصرون من قصائد»[2] والسبب في ذلك هو إصرار الشعراء على« إبراز جانب واحد من الحياة وهو جانب القتامة فيها، وأنهم يغمضون عيونهم عن جانب البهجة»[3].

وهو ما نلاحظه عند سميح القاسم أنه أصبح يميل الى الجانب المعتم من حياته، وبعد إصابته بالمرض أصبحت نبرة الحزن أكثر انتشارا في شعره.

«سطوتَ على أناشيدي وداري

ولم تطفئ دمي ولهيب ناري

تشيِّد من رماد الحزن جسمًا

[1]-سميح القاسم، قصيدة العنقاء.

[2]عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص352.

[3]نفس المرجع السابق، ص352.

وروحك لا يكف عن انهيار

وما تعلي يؤول الى سقوطٍ

وما تبني يحول الى رَمْاد»[1]

في هذا المقطع يشبه حزنه بالنار في شدة لهيبها التي خلقت رمادًا يتمثل في جسم قابل للانهيار في أي لحظةٍ، وكل شيء يبنيه يسقط ويتحول رمادا فالشاعر يحس أنه لم يعد مناسبا في هذه الحياة فكل ما قام به في حياته سوف ينهار بعد موته.

وفي مقطع آخر يعبرالشاعر عن خِزيه إزاء الأوضاع التي تمر بها بلاده، فيقول:

«والغزاة العلوج عبءٌ ثقيلٌ

ملء ليلٍ أهوى وجُنَّ وجُنَّا

وتصيحُ العيونُ خزيا ورعبا

ياهلال التاريخ أينك..أينا؟!.»[2]

من كثرة الظلم والخوف أصبحت العيون تصيح وهي ميزة خاصة باللسان لكن الشاعر وظفها للعيون ليعبر عن مدى الظلم والاضطهاد والخوف الذي يعيشهفيضيف قائلاً :

«يستطيع العدوُّ العزيز، كما يشتهي

أن يصُّبَّ الرصاص على جثّتي

وأنا سأصُّبُّ دمي فوق جبهته.»[3]

---

[1] سميح القاسم، كولاج 3، ص6.

[2] -نفسه، ص7.

[3] -نفسه، ص9.

رغم الخوف والرعب الذي ينتابه إلاّ أنه يتحلى بالشجاعة والقوة ليواجه الخطر الذي يهدده يوميًا، فأصبح يشبه الرصاص الذي يطلق على أجساد الأبرياء بالماء النقيِّ الذي يغسل الجثة.كما أنه يشبه هذا الرصاص الذي يخرج من البنادق بالبرق فيخلف فيه نارًا يصبح الجسم رمادها.

«والبرق يضرب مرتين ثلاث مراتٍ ويضرب

مرَّةً أو ألف مرَّة

وأنا رماد البرق

وقد تجدون في رمضاءِ روحي البرقِ

جمره!»[1]

وبما أن الوجود مرتبط بالقلق والخوف والاضطراب والتعبير عن قضايا العصر، فقد عبر الشاعر عن قلقه الوجودي مستعملاً صورا بيانية تضيف لها جمالاً فنيًا،ومن بين هذه الصور نذكر الاستعارة التي قد سبق الحديث عنها. ففي حديثه عن أسرى غوانتانامو والاضطرابات التي يعانون منها يقول:

«قيد دَماءُ . وقيد تَمْر

وَرَاءَ الجِدارِ .وراء الحديد.وراء الجدار

هنا قلق لا يفيق. هنا أرقٌ لاينام

هنا غوانتانامو»[2]

[1]- سميح القاسم، كولاج 3، ص10.

[2]-سميح القاسم، غوانتانامو

شبه الشاعر هنا القلق والتعب الذي يعاني منه الأسير في غوانتانامو بالكائن الحيِّ الذي يحتاج إلى الراحة والنوم ولكن كلاهما لا ينال حقه، فالقلق موجود دائما وإن كان في سبات عميق والتعب حاضر في كل الأوقات.

«هنا تتهاوى النوامسُ يسقطُ سرُّ اللُّغات.هنا

تتشظى الجراُحهنا تتلظَّى الرياُح.متى

تنهض الشمس من قبرها؟»[1]

وفي سجن غوانتانامو تنعدم الحياة وهو ما يصوره في المقطع السابق فلا شمس تشرق عليهم، ولانور يطل عليهم، فيجسد لنا الشمس في صورة الإنسان الميت المدفون الذي لا يستطيع النهوض من قبره، ولكن يتمنى أن تطل عليه يوما ما.

إنَّ الصورةالشعرية تُصور لنا إما الواقع الذي نعيش فيه أو خيال الشاعر الذي يقدمه لنا في شعره فيترك آثرا واضحا.ونلاحظ أن سميح القاسم قد استخدم في قصائده الصور البيانية من تشبيه واستعارة للدلالة على تأثر الشاعر بما يعيش خاصة في الفترة التي غزا فيها المرض جسده.فهو يصف تلك الحالة الحزينة والكئيبة بسبب انتظار الموت المحتوم، وكذلك الأوضاع الاجتماعية التي تعيشها أمته والدول العربية الأخرى، ورغم مرضه إلاَّ أنه لم يمنعه من كتابة الشعر والدفاع عن القضية.

[1]-نفس المرجع السابق.

المبحث الثاني: الـرمز والـصورة

1-تعريف الرمز

لقد حظي الرمز باهتمام كبير من طرف الدارسين والباحثين وخاصة الشعراء الذين أبدعوا في أشعارهم حينما أدخلوا الرمز كعنصر فني أساسي إلى قصائدهم، سواء الأسطورة أو الرموز الطبيعة أو الدينية أو التاريخية وغيرها من الرموز.

1-1-لغة

لقد تطرق ابن منظور في كتابه لسان العرب إلى الرمز وعرفه على أنه:«إشارة بالشفتين وإيماء بالعينين والحاجبين والفم، والرمز في اللغة كل ما أشرت إليه بيد أو بعين، ورمز يرمز رمزًا.»[1]

كما وردت كلمة رمز في القرآن الكريم في قوله تعالى: «قال ربي اجعللي آيةً قال آيتك ألاَّ تُكَلِّم الناس ثلاثة أيامٍ إلاَّ رمزًا واذكُر رَبَّك كثيرًا وسبِّح بالعشي والإبكارِ.» سورة آل عمرانالآية 41.وجاءت بمعنى الإيحاء والإشارة.

وهذا ما يؤكد عليه الفيروز آبادي من خلال معجم القاموس المحيط حين ذهب إلى القول:«الرمز ويضّمُ ويُحَرَّكُ:الإشارة، أو الإيماءُ بالشفتين أو العينين أو الحاجبين أو الفم أو اليد أو اللِّسان،يَرْمُزُ ويَرْمِزُ، رغم المعاني المثيرة التي قدمها البستاني الرمز إلا أنه يحمل معنى الإشارة والإيحاء»[2]

[1]-ابن منظور، لسان العرب، م5، ط1، دارصادر، بيروت، ص356.

[2]-الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص629.

ومن خلال هذه التعريفات اللغوية نرى أنهم لا يختلفون في تعريفها فابن منظور والفيروز آبادي يتفقان على أنه الإيحاء والإشارة وهذا ما ورد في القرآن الكريم من خلال قصة سيدنا زكريا عليه السلام.

1-2-اصطلاحا

عرِّفَ النقاد والبلاغيون الرمز خاصةً أحمد محمد فتوح الذي خصَّص له كتابًا كاملاً عنونه ب "الرمز والرمزية"، فيقول في تعريف الرمز: «شيء حسي معتبر كاشارة الى شيء معنوي لا يقع تحت الحواس، وهذا الاعتبار قائم على وجود مشابهة بين الشيئين، أحست بها مخيلة الرامز.»[1]، فالرمز على حسب قوله هو الإشارة إلى شيء ما بطريقة غير مباشرة .

وهناك من شبهه بالحلم حيث يأتي في حالة شعورية بعيدة كل البعد عن العقل وينفصل فيه الشاعر عن العالم الحسي:«فالرمز الفعلي هو أشبه ما يكون بلحظة النبوءة الشعرية، به نتصل بما وراء الأشياء، وما جدار الحسِّ والعقل، وهي الحالة التي قد تدركها النفس حين تستقل وتتحرر من جسدها.»[2]

وهذه الإشارة تطورت عبر الزمن في حين كانت قديمًا عبارة عن إشارة بتعابير الوجه باستخدام العينين أو الشفتين. أما حديثا، فقد أصبحت هذه الإشارات عبارة عن كلمات وعبارات غير مباشرة تفهم من خلال السياق وهذا ما أكده فتحي إبراهيم في معجم المصطلحات الأدبية حين

[1]-أحمد محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1984، ص40.

[2]-إيليا الحاوي، الرمز والسريالية في الشعر الغربي والعربي، دار الثقافة، ط1، بيروت، 1980، ص145.

عرف الرمز على أنه «كلمة أو عبارة أو تعبير يمتلك مركباً من المعاني المترابطة، وبذلك ينظر إليه باعتباره يمتلك قيماً تختلف عن أي شيء يرمز إليه كائناً ما كان.»[1]

وهذه الكلمات والعبارات جاءت في الشعر المعاصر على شكل شخصيات من التراث الديني أو الثقافي لمختلف الحضارات.

2-علاقة الرمز بالصورة

لقد نادت البلاغة العربية الحديثة إلى التجديد في الصورة خاصة من ناحية التعبير الذي يمنحها بعداً فنية جماليا، وهذا ما يظهر في الرمز الذي يتطلب في استعمالها لاعتماد على لغة تؤدي معناه باعتبار «الرمز وحدته الأولى صورة حسية تشير إلى معنوي لا يقع تحت الحواس، ولكن هذه الصورة بمفردها قاصرة عن الإيحاء:سمة الرمز الجوهرية، والذي يعطيها معناها الرمزي إنما هو الأسلوب كله، أي طريقة التعبير التي استخدمت هذه الصورة وحملتها معناها الرمزي، ومن ثم فإن علاقة الصورة بالرمز من هذه الناحية أقرب إلى علاقة الجزء بالكل، أو هي علاقة الصورة البسيطة بلبناء الصوري المركب الذي تنبع قيمته الإيحائية من الإيقاع و الأسلوب معاً .»[2]

فالعلاقة إذن بين الرمز والصورة حسب هذا القول هي علاقة تكامل فالرمز يكمل الصورة والعكس صحيح، وهذا لا يعني أنه لا توجد فروق بينهما لكن هذه الفروق لا تصل إلى درجة التفرقة بينهما فعلاقة الرمز بالصورة «ليست بالضرورة علاقة مفارقة، فقد تتعقد الصورة، وتتآزر عناصرها تآزراً إيحائيا بحيث تبلغ درجة من التجريد تصلها بمشارف الرمز.»[3]

---

[1]-رُلى يوسف صبحي عصفور، الرمز في الشعر الفلسطيني المعاصر، (أطروحة الدكتوراه)، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2013، ص10.

[2]- محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص139.

[3]-نفسه، ص141.

3-الرمز الديني

من خلال التجديد الذي شهدته القصيدة العربية نلاحظ أنه لم يمس فقط الشكل الخارجي وإنما هذا التجديد تخلل المضمون حيث نلاحظ تجديدًا في الصور، فقد اتخذ الشاعر المعاصر الرمز وسيلة فنية تخدم متطلبات الحداثة ظاهرياً، لكن في باطنها هو وسيلة للتستر كي يتسنى له الانتقاد والتعبير عن قضايا سياسية اجتماعية أو دينية، وذلك بغرض تفادي الملاحقة الدينية أو السياسية.[1] وهذه الرموز لا تستعمل اعتباطيا وإنما يستعملها الشاعر وفقا لثقافته الدينية وعاداته وتقاليده الاجتماعية، وقد استحضر سميح القاسم شخصيات وحوادث دينية على شكل رموز.وذلك لأهمية التراث الديني الذي يعد من أهم المصادر التي يعتمدها الشاعر «لتطوير أدواته التعبيرية، وإثراء طاقاته الإيحائية، وبناء صوره ورموزه الشعرية، ومن أجل تحقيق نوع من التواصل مع الجماهير التي تختزن ذاكرتها التاريخية معطيات التراث وتتفاعل وجدانياً مع مفرداته المتعددة التي تشكل جانباً كبيراً من تكوينها الفكرية والنفسي.»[2]

وهذه الأهمية حاضرة في كل الصور وعند كل الأمم ومن أهم مصادر الإلهام الشعري وهو ما يؤكده علي عشري زايد حين قال:«كان التراث الديني في كل الصور ولدى كل الأمم مصدراً سخياً من مصادر الإلهام الشعري، حيث يستمد منه الشعراء نماذج وموضوعات وصورا أدبية.»[3]

---

[1]-أنظر: آمال محمد أبو شويرب، دلالة الرمز الديني الأحادي والمركب في شعر الفزاني"ميهاد وتطبيق"، المجلة الجامعة ، العدد السادس عشر، المجلد الثاني، أفريل 2014، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم، صبراتة، جامعة الزاوية، المدينة، البلد، ص4.

[2]- المرجع السابق، ص6.

[3]-علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997، ص75.

وفي قصائده الأخيرة يستحضر سميح القاسم الشخصيات والحوادث والقصص الدينية من مختلف العصور، وخاصة من الدين الإسلامي، وهذا يدل على ثقافة الشاعر الإسلامية، وديانته المتمثلة في الإسلام.

كما أنه ذكر معجزة الإسراء والمعراج في قصيدتْي العنقاء" و"كولاج 3" وهذه المعجزة قد ذكرها القرآن الكريم في سورة الإسراء. يقول الله تعالى «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السَّميعُ البصيرُ.» الإسراء، الآية01.

وهذه الحادثة عبارة عن مواساة الرسول بعد عام الحزن الذي توفيت فيه زوجته خديجة وعمه أبو طالب بعد أن ضاقت به الحياة. فوظفها الشاعر في قصيدة العنقاء للتشبث بالأمل والتفاؤل بغدٍ أفضل بعد حزن الشعب التونسي على حادثة البوعزيزي. فيقول:

«وشمس تشرق

والإسراء لأقصى الثورة والمعراج

باسم الله يضيء القلب بجرح سراج

باسم الله يشبّ الشعب ويهدر في غضب الأمواج»[1]

كما جاءت حادثة الإسراء والمعراج كرمز للفرج بعد الضيق في كولاج 3 باعثا في نفوس الأسرى في التحرر وانقضاء أيام السجون. يقول

«أسرى الرسول إليكم أسرى

[1]-سميح القاسم، قصيدة العنقاء.

فاستبشروا يا إخوتي الأسرى

ذكّرتم..وستنفع الذكرى

ويؤول ليل سجونكم ذكرى..»[1]

ثم انتقل الشاعر من الدين الإسلامي إلى الدين المسيحي، باستثمار رمز العذاب الذي استعمل في تعذيب المسيح عيسى، ولكن سميح القاسم استعمله كرمز للتضحية والفداء في سبيل الأمة. فإذا كان المسيح قد ضحى بنفسه وعذّب صلبا (كما ترى الرواية المسيحية) في سبيل الدعوة إلى الإيمان فإن البوعزيزي قد ضحى بنفسه أيضا من أجل الخلاص وتحرر الوطن من الظلم.

«في نور لهيبك يبصر قلب الأمة

وجه القدس

وصليب القدس

ويباغت غضب الجن هموم الإنس.»[2]

كما وظف الكتب السماوية التي تظهر من خلال ذكر سفر التكوين كرمز للتحريف والتكذيب وتغليط الناس، بالمعروف عن الكتب السماوية أنها تعرضت للتحريف والتغيير في معظم الروايات. وقد وظّف الشاعر هذا الرمز -سفر التكوين-كمحاولة منه لمنع تشويه حادثة البوعزيزي والثورة التونسية.

«من يقرأ هذا السفر ليجترح الإيمان؟

وليعلن في كل جهات الأرض العصيان؟

[1] -سميح القاسم، كولاج 3، ص2

[2] -سميح القاسم، قصيدة العنقاء.

من يتنفس هذا الخبر؟

من يقرأ هذا السفر

سفر التكوين تعيد صياغته عينان

وفم ويدان

ويعيد كتابته الإنسان.»[1]

وقد رمز لهذه الثورة المجيدة بذكر حادثة الطوفان التي تعد رمزًا للتجديد والثورة على الفساد بعد أن حدثت كعقاب من الله على قوم نوح عليه السلام الذين أسرفوا في الفساد والمعصية، فلم ينج إلاّ الذين آمنوا، وقد تكررت الحادثة بصفة مشابهة في تونس بعد خروج جماهير حاشدة مطالبين بتغيير نظام الحكم الفاسد. وهو ما عبر عنه الشاعر في هذا المقطع.

«سفر التكوين يجدد دورته الدموية

ملء جهات الكرة الأرضية

ويعيد صياغته رجل وامرأة ...زوجان

وسفينة نار البوعزيزي

وسفينة نوح

والطوفان»[2]

[1] - سميح القاسم، قصيدة العنقاء.

[2] - نفسه.

وفي الحديث عن القلق والخوف استعان الشاعر بالتابوت كرمز للخوف، فالشاعر أصبح يعيش قلقاً وخوفاً دائم ْينفي وجود المستعمر.فإن خرج الشخص من منزله في الصباح ربما يعود في المساء محمولاً في التابوت بعد استشهاده برصاصة المحتل فالموت يلاحقه في كل وقت ومكان.

«الفتى الحرُّ باتَ عبداً ذليلاً

والزعيم المهيب أصبح قنا

في ظلام التابوت نفتح عيناً

وشموس الحياة تغمض عيناً

الطغاة الأجلاف صالوا وجالوا

آخ منهم، وآخ منَّا ومناَّ .»[1]

بعد اشتداد المرض على الشاعر أصبح يستحضر كثيراً الرموز الدينية. فنجده مثلا يشير إلى شعيب ومريم ومحمد صلى الله عليه وسلم مستهلاً المقطع بنداء الله رمزا للرحمة والغفران، ثم يستدعي نبي الله شعيب الناصح لقومه كرمز الاستقامة والعدل عكس قومه الذين يتميزون بالفساد وسوء الأخلاق. يأتي بعدها مباشرة بذكر مريم ويشير إليها بندائها بالعذراء وهي رمز العفة والطهارة. وأخيراً يستحضر النبي محمد (ص) الذي كثيرا ما يستعمل للرمز به إلى العذاب أو الانتصار والصمود فكثيراً من الشعراء وظفوا النبي محمد (ص) في أشعارهم حيث«استخدم رمزًا شاملاً للإنسان العربي، سواء في انتصاره أو عذابه.»[2]

[1]-سميح القاسم، كولاج 3، ص7.

[2]-يوسفي سوهيلة، الرمز ودلالته في القصيدة العربية المعاصرة -قراءة في الشكل-خليل حاوي أنموذجا،(أطروحة الدكتوراه)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة الجيلالي اليابس -سيدي بلعباس-، 2017-2018، ص115.

فالشاعر في المرحلة التي اشتد فيها عليه المرض نراه يستنجد بالله للخلاص من العذاب الذي يعانيه.

«يارب

يا شعيبُ

يا عذراءُ يا رسول

معذرةً ، فإنني أواصل الحياة

فلا تزال ممكنة.»[1]

4-الرموز الأسطورية

من خلال دراسة قصائد سميح القاسم الأخيرة نلاحظ أنه شديد الحرص على توظيف الرموز الأسطورية من مختلف الحضارات و ربما جاء هذا التوظيف للأسطورة بسبب ارتباطها بالفن باعتبار«الفن والأسطورة موضوعان متلازمان منذ أن أخذ الإنسان يتعرف على هذا الكون وهي علاقة بارزة منذ القدم وتشهد بذلك أقدم النقوش ومخلفات الفراعنة، ورمزية الأسطورة تستمر وتتفاعل في مناحٍ مختلفة من الحياة مثل الطقوس والشعائر والعادات وفي أنماط التفكير والممارسات عند شعوب العالم .»[2]فيتخذ الشاعر هذا النوع من الرموز وسيلة تعبيرية لانفعالاته حالاته وتجاربه. والرمز الأسطوري شأنه شأن الرمز الديني لا يستعمل اعتباطيا، والشاعر لا يوظف هذه الرموز إلاّ لغرض قوي فلا يكون مجرد استحضار الشخصيات تركت أثراً عبر الزمن. وإنما على الشاعر في استخدامه هذه الرموز مراعاة أنها ليست«مجرد استعراض لثقافة الشاعر، ثم

[1]-سميح القاسم، كولاج 4 (ضجيج النهارات حولي)، ص44.

[2]-رُلى يوسف صبحي عصفور، الزمن في الشعر الفلسطيني المعاصر (فواز عيد ومحمد القيسي وأحمد دحبور)، ص26.

يتوقف على مدى تمثله للأسطورة، وإيمانه بها، واستطاعته تحويلها إلى نبض داخلي يتخلل القصيدة.» [1]وقد استخدم الشاعر شخصيات من مختلف الحضارات القديمة منها الحضارة اليونانية،والفينيقية والصينية. وكل شخصية من هذه الشخصيات لها دورها في القصيدة وتؤدي وظيفتها. فالمعروف عن الشاعر المعاصر أنه استخدم شخصيات أسطورية قديمة وكان لكل منها وزنها وقيمتها في الشعر العربي المعاصر. إن «كل شخصية من هذه الشخصيات لها تجربتها الخاصة الواقعية أو الممكنة، ولكنها في الوقت نفسه تلخص وجها من وجوه التجربة الإنسانية.»[2]

وأول رمز يلفت الانتباه في القصائد التي تطرقنا إليها هو رمز (العنقاء) وقد وظّفه الشاعر -أولا- عنوانا لقصيدته ثم يأتي ذكره في متن القصيدة، وهو طائر خرافي حسب ما تناقلته الروايات، فإنه يموت بعد أن يحرق نفسه. ليأتي بعده طائر آخر من نفس سلالته مثله تماماً، ولا بد أن الشاعر استعان به في قصيدته كرمز للتضحية التي قام بها البوعزيزي في سبيل التجديد.

«يا عنقاء العرب الكبرى

يا موَّال العرب وأغنية البربر

ونشيد الوطن الأحلى والأعلى والأغلى

يا غصن النار الأخضر

وصديق البرقوق الأحمر.»[3]

وهذه الرموز التي استحضرها الشاعر كانت نتيجة نزعته الوجودية التي تدفعه إلى الحديث عن قضايا العصر ومعاناة الأمم بمختلف الوسائل. ومن هذه القضايا قضية البوعزيزي في تونس.

[1]-محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، ص296.

[2]-عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص204.

[3]-سميح القاسم، قصيدة العنقاء.

ومعاناة أسرى غوانتانامو. ففي حديث الشاعر عن البطش الذي يسلطه الأقوياء على الضعفاء. أو أصحاب السلطة والحكام على الشعب يستحضر شخصيات أسطورية من الحضارة اليونانية المتمثلة في إيكاروس وذيذالوس الذين حاولا الهروب من منفْيهما وفشلاَ، فهما رمزان للضعف وقلة الحياة.

«إلى الصمت والموت في غوانتانامو؟

لإيكاروس العصر حكمةُ ذيذالوس العصر..

فهمنا الرسالة لكن أجنحة الطائرات.O.K

الرهيبة أقوى من الريش والّريح -أسرع من نبضة

القلب في قلعة البوانتاغون القصيه

ويسقط إيكاروس العصر.تسقط حكمةُ

ذيذالوس العصر.»[1]

انتقل الشاعر من الحضارة اليونانية إلى الحضارة الصينية معبراً عن القلق الذي يعيشه إزاء الموت الذي يلاحقه بعد أن ِلتد عليه المرض.فكل إنسان مهما كانت قوة إيمانه واستعداده للموت سينتابه القلق من هذا الأمر، وسيميح القاسم لا يختلف عن بقية البشر وينتظر أجله المحتوم بقلق كبير، فاستحضر كونفوشيوس رمزًا للإيمان والصدق والحكمة فهو يعتبر (نبي) الصينيين بسبب فلسفته التي تدعو لمكارم الأخلاق.فيقول الشاعر:

«عادني أمس كونفوشيوس

قال لي هادئا: قلق العيش أقسى من قلق الموت، يا

[1]-سميح القاسم، غوانتانامو.

صاحبي

قالها وانطلق،

تاركاً ظله،

وصدى صوته،

وأنا..والقلق.»[1]

وهذا القلق بدأ يساور الشاعر منذ أن تعرض للحادث الذي غير نظرته إلى الموت وأصبح يستعمله رمزًا بعد أن سيطرت عليه «مشاعر القلق واليأس إزاء الموت في المرحلة الراهنة، فاقتصرت نبوءته على انتظار الموت الذاتي، ولم يعد يبني واقعه الحلمي إلاّ في استحضار صورة الموت الذي يداهمه.»[2]

5-الرموز الذاتية

اعتمد الشاعر على رموز كثيرة يعبر بها على ما تخلفه الظواهر والأوضاع التي يعيشها في ذاته فاستمد من الطبيعة رموزاً تساعده على الحديث عن هذه الحالات التي تتفاعل في داخله بطريقة خفية كما تساعد في «تشكيل جديد لهذا الواقع، وصياغة ذاتية لعناصره الحسية والمعنوية، بحيث تغدو مفردات الطبيعة رمزية نفسية لا وجود لها إلاّ في المخيلة، وبحيث تلتئم جميعاً لتخلق الإحساس الذي يعيشه الشاعر.»[3]

---

[1]-سميح القاسم، كولاج 4 (ضجيج النهارات حولي)، ص74.

[2]-حامد صدقي، فكرة الموت وألوانه في شعر سميح القاسم، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد4، السنة10، 1436هـ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الخوارزمي، ص588.

[3]-محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، ص222

وسميح القاسم اتخذ من الطبيعة رمزاً للحزن، واليأس، والكآبة والخوف وغيرها من الأحاسيس. ففي كولاج 3 يتخذ من النار رمزًا للحيرة والضياع والوقوع في متاهات الحياة. فيقول:

الأطـ ريق طريقي

ولا بـ ُدَ لي من طريق

بين نارين

نار العدوَّ

ونار الصديق»[1]

وفي حالة الخذلان التي أصابته من نظام الحكم المستبد الذي تعاني منه تونس اتخذ من الطبيعة والحيوانات رموزاً توحي إلى هذا الظلم والخيانة الطاغية في تلك الفترة فاستحضر الأفعى والعقرب كرمز للأذى والهلاك، بالإضافة إلى الذئب والثعلب اللذين يرمزان إلى الخبث والمكر.

«في دست الحكم تصول أفاع وتجول عقارب

ولصوص وبغايا وعبيد وأجانب

وكلاب وذئاب وثعالب.»[2]

ليس بالضرورة أن تحمل هذه الرموز الدلالة ذاتها في كل القصائد ولدى كل الشعراء. فقد تختلف دلالتها من موقف إلى موقف. وبدلا من أن يكون الذئب رمزا للخداع يصبح رمزًا للفطنة.

[1] -سميح القاسم، كولاج 3، ص1.

[2] -سميح القاسم، قصيدة العنقاء.

ومن المعروف عن تونس شهرتها بالزيتون، الشجرة المباركة المذكورة في القرآن الكريم وهي رمز للأصالة والصمود رغم كل الظروف. لذلك وظفها الشاعر للتعبير عن أصالة وقوة الإنسان التونسي وصموده أمام المأساة ورفضه للظلم. ولم يتوقف عند الزيتون فقط بل استحضر رموزا أخرى تدل على كرم الإنسان التونسي وذُبل أخلاقه وعزة نفسه.

«يا شغف النملة بالزيتونة

ذُبل جواد عربّي

عزة عرف الديك

يا البوعزيزي

"بتونس بيك"»[1]

كما أنّ الإنسان يتميز بالغموض وكل ما يدور في نفسه يبقى حبيس ذاته. إلاّ إذا أراد أن يطلق لهذه المشاعر العنان ويعبر عنها،ولكن بطريقة غير مباشرة يستعمل فيها وسائِل مختلفة حسب طبيعة كل شخص. أو يبقيها حبيسة في العقل الباطن.وهذا ما أشارت إليه نازك الملائكة حين قالت:«إن النفس البشرية عموماً ليست واضحة إنما هي مغلفة بألف ستر. وقد يحدث كثيراً أن تعبر الذات عن نفسها بأساليب ملتوية تثيرها آلاف الذكريات المنطمسة، الراكدة في أعماق العقل الباطن...فيتلقفها العقل الباطن ويكنزها مع ملايين الصور التافهة، ويغلق عليها الباب، حتى إذا آنس غفلة من العقل الواعي أطلقها صوراً غامضة لا لون لها ولا شكل، وليست هذه الأحاسيس

[1]-سميح القاسم، قصيدة العنقاء.

الغربية وقفاً على إنسان دون إنسان، سوى أن التعبير عنها يختلف. فالإنسان العادي يراها في أحلامه، أما الفنان فيعبر عنها بفنه وأحلامه معاً .»[1]

ويصف الشاعر سجن غوانتانامو منبع الكآبة واليأس ويرمز له بالربيع والفراشة رمز البهجة والسرور. لكن نظرته هنا للربيع تختلف دلالته فإن كان الربيع تشرق فيه شمس الحياة وتتحرر من سجن سحاب الشتاء، وتخرج الفراشات لتتمتع بلطافة جوِّه. فإن الربيع في غوانتانامو يحيا فيه العذاب، تتجدد المأساة وتموت الحرية.

«هنا..غوانتانامو.

جناح الفراشة ينسى زهور الربيع. جناح الفراشة

ينسى الربيع القديم الجديد القريب البعيد

ويسقط في النَّار لا طلعَ لا زرعَ . كفُّ الأسير

جناح الفراشة. من أشعل النار في البدءِ؟ من

أرهب النسمة»[2]

وبعد ان اصبح لديه متسع من الوقت للتعبير عن معاناته مع المرض خاصة في الفترة الأخيرة من حياته أصبح كثير الحديث عن الموت والقلق منه، فاعتمد على فصول السنة في وصف مدى عذابه باستحضار الصيف.فإن كان الصيف يرمز إلى الراحة، فالشاعر بالنسبة إليه هو رمز للعذاب واليأس من وضعه مع الأدوية. فيقول:

[1] -محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، ص268

[2] -سميح القاسم، غوانتانامو.

«أيها الصيف يا صيف عامي الأخير

كنت كم كنت محتقنا بالدواء

بالحبوب وبالمصل والكيمياء

وببعض الكلام الخطير.»[1]

ثم يتساءل إن كان سيطول به العمر حتى الخريف حيث تكون نهايته.باعتبار أن الخريف هو فصلُ نهايةِ كل شيء مثمر. فيزداد شحوبا كاصفرار أوراق الشجر وتكون نهايتها السقوط.نهاية الشاعر الموت.فالخريف رمز الحزن واليأس والموت.

أيها الصيف

«قل لي وكن صادقاً -هل يكون الخريف

مشهداً لتساقط شعري الرمادي الخفيف

في تساقط عريي، وعري الشجر

أم تضيق حدود الخطر

ويضيق الكلام المخيف.»[2]

[1] -سميح القاسم: كولاج 4 (ضجيج النهارات حولي)، ص99.

[2] -نفسه، ص99.

خاتمة

خاتمة

لقد أفضت دراستنا إلى جملة من النتائج نسردها في الآتي:

-ارتبط الشعر بالفلسفة منذ القديم، وحظي بالدراسة والاهتمام على امتداد العصور، وتوقف معظم الباحثين كثيرا عند موضوع المحاكاة عند الفلاسفة اليونان وموضوع التخييل والإبداع لدى الفلاسفة المسلمين.

- إن علاقة الإنسان بالقضايا الفلسفية الكبرى هي هاجسٌ ظل يؤرق الشاعر العربي قديما وحديثا، وخاصة علاقته بالوجود، والمصير، والزمن، والموت، وكانت هذه القضايا من أكثر القضايا ارتباطا بالتساؤلات الفلسفية الكبرى التي طرحها الفلاسفة أيضا.

- نلاحظ أن الشاعر سميح القاسم كان رهين هذه القضايا الفلسفية المذكورة، وقد ألقت بأجوائها على قصائده الأخيرة حين استبد به الألم واشتد عليه المرض.

-تعامل سميح القاسم في قصائده الأخيرة مع موضوع الموت بطريقة متميزة، فتارة يظهر في ثوب المتحدي الذي لا يـُهزم رافضا الاستسلام، وتارة يهادنه بلغة الوجع والانكسار وتارة أخرى يسخر منه ويقدمه بصورة هزلية-كاريكاتورية، وفي حالات أخرى يرضى الشاعر بقدره ويستسلم لمشيئة الله.

-يتخذ الموت في هذه القصائد صورا ومسميات متعددة فهو الاستشهاد، وموت الأم، وموت في الغربة، وموت الذات.

-إن هو الموت هاجس الشاعر الدائم ومنذ الطفولة. وهو ما يؤكد على الصراع الدائم بين الشعب المقاوم والمحتل الذي تزعجه أصوات الحرية مهما صَغُرتْ.

-كلما كثرت معاناة الشاعر مع المرض ازداد ضياعه الداخلي واستولي اليأس عليه، فتتعطل ذاكرته، وينسى حتى اللحظات الجميلة من حياته التي قد تنسيه حاضره المؤلم.

-يمتزج المرض بالتمزق الداخلي والقلق، قلق الرحيل والموت والنهاية، ولكنه في الوقت ذاته يتأمل الأشياء برزانة الحكيم وحكمة الفيلسوف.

-يعتمد الشاعر في تعامله مع الزمن على توظيف الماضي بكل مفارقاته وعلى المستقبل الذي يلفُّه المجهول والقلق والغموض.

-تتنوع أسماء الأمكنة في قصائد سميح القاسم الأخيرة وذلك بتنوع اللحظة الشعرية والمناسبة والسياق،فمن البيت إلى الشارع إلى المدينة وإلى بعض المدن العربية. غير أن الرابط المشترك بين كل هذه الأمكنة هو الظلم والاضطهاد وغياب العدالة الاجتماعية، ونشد ان الحرية.

- يتعامل الشاعر مع موضوعاته بطريقة متميزة، لتحقيق التأثير في المتلقي، ولأجل ذلك يحشد كل أدواته الفنية وطاقته الإبداعية للخروج عن المألوف وبلورة رؤيته للموضوع.

-في صوره الرمزية، عاد سميح القاسم إلى التراث بأنواعه المختلفة لينهل منه ويستثمر بعض المواقف فيه، بإسقاطها على ذاته وواقعه، ومن جهة أخرى يكشف تعامله مع التراث عن ثقافة الشاعر وعمق نظرته إلى الأشياء المحيطة به.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

الدواوين

- عمر بن كلثوم، محمد علي الحسني، ديوان العرب (معلقات عمرو بن كلثوم) إشراف أنس أبو هلال، دار الكتب الوطنية، ط1، أبو ضبي، 2012.
- ديوان عمرو بن قميئة، تح: خليل ابراهيم العطية، دار صادر، ط2، بيروت، 1994.
- ديوان إيليا أبو ماضي، دار العودة، د:ط، بيروت،2007.
- ديوان الخنساء، شرح: حمدو طمَّاس، دار المعارف، ط:2، بيروت، لبنان، 2004.
- المعلقات السبع مع الحواشي المفيدة للزوزني، تح: محمد خير ابو الوفاء، مراجعة: مصطفى قصاص، مكتبة البشرى، ط1، كراتشي، باكستان، 2011.
- أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تح: فيصل شكري، دار الملاح للطباعة والنشر، دط، دمشق،1965.
- احمد الامين الشنقيطي: شرح المعلقات العشر واخبار شعرائها، تح: محمد عبد القادر الفاضلي، دار النصر للطباعة والنشر، دط، 2005.
- كولاج3
- كولاج 4 (ضجيج النهارات حولي)
- قصيدة العنقاء
- قصيدة غوانتانامو

أولا: المراجع العربية

1. إبراهيم أنس وآخرون، المعجم الوسيط، م1،مكتبة الشرق الدولية، ط4، القاهرة، مصر، 2004.

2. ابن رشد، تفسير ما بعد الطبيعة، دار المشرق، بيروت، 1967.

3. ابن رشد، تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر، تح: محمد سليم سالم، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، 1971.

4. حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية، إتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق،2001.

5. إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989.

6. إيليا الحاوي، الرمز والسريالية في الشعر الغربي والعربي، دار الثقافة، ط1، بيروت، 1980.

7. عبد المحسن طه بدر، الرؤية والأداة نجيب محفوظ،دار المعارف، ط:3، القاهرة،1984.

8. محي الدين صبحي، الرؤيا في شعر البياتي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط:1،العراق، بغداد،1987.

9. ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، دط، د. ب، دت.

10. ابن سينا المجموعة أو الحكمة العروضية، تح: محمد عبد الله الاسيوطي، كتاب ناشرون، دط، بيروت، لبنان.

11. ابن فارس أبو الحسن أحمد: مقاييس اللغة، م5، تح: عبد السلام هارون، اتحاد الكتاب العرب، ط3، د. ب، 2002.

12. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ط1، بيروت،1997.

13. ابن منظور: لسان العرب، م2، دار صادر،بيروت، 2003.

14. أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمود البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط2، د. ت.

15. إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة بيروت، لبنان 1971.

16. أحمد طاهر حسنين وآخرون، جماليات المكان، عيون المقال، ط2، 1988.

17. ادونيس، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، ط3، بيروت، لبنان، 1979.

18. أحمد محمد فتوح: الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1984.

19. أدونيس: الثابت والمتحول، ج4، دط، دار الساقي، د. ب.

20. السدات جيهان: اثر النقد الانجليزي في النقاط الرومانسيين في مصر بين الحربين، دار المعارف، د ط، القاهرة، 1992.

21. أرسطو طاليس: فن الشعر، تح: عبد الرحمان بدوي، دط، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1973.

22. الجاحظ عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج4، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط7، 1998.

23. الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، مصر، د:ت.

24. الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، 1983.

25. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الكريم العزباوي، مطبعة الكويت، ط1،2001.

26. الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1998.

27. السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار المعارف، ط2 الاسكندرية، مصر، 1983.

28. الشهرستاني، المال والنحل، ج2، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

29. ألفت محمد كمال عبد العزيز، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، من الكندي حتى ابنرشد، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1984.

30. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة،2008.

31. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 2005.

32. الفيروز آبادي، قاموس المحيط، ج3، ط2، مصر، 1978.

33. الكندي، رسائل في الفلسفة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978.

34. أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء للطباعة والتوزيع، القاهرة، طبعة جديدة، 1998.

35. جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، البلد، 1992.

36. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، دار البيضاء، دت.

37. شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، ط6، القاهرة، 1962.

38. صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، دار الأدب، ط1، بيروت، 1995.

39. عبد الرحمان منيف، سيرة مدينة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط1،، بيروت، 1944.

40. عبد الله السمطي، أطياف الشعرية، المجلس الأعلى للثقافة، بيروت، 1997.

41. عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، ط3، القاهرة 1966.

42. علي شلش، في عالم الشعر، دار المعارف، القاهرة، 1978.

43. علي عشري زايد،استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997.

44. فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1993.

45. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: محمد بن المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،دت.

46. محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، الدار التونسية، ط1، تونس، 1984.

47. محمد عبد الرحمان مرحبا، مع الفلسفة اليونانية، منشورات عويدات، ط3، بيروت باريس، 1988.

48. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبية الحديث، دط، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، 1997.

49. مرشد أحمد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، دار فارس للنشر والتوزيع، ط1، بيروت-لبنان، 2005.

50. مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009.

51. معن زيادة وآخرون، الموسوعة الفلسفية العربية، ط1، م1(الاصطلاحات والمفاهيم)، معهد الإنماء العربي، 1986.

52. منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1990.

53. مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2004.

54. نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1978.

55. هلال عبد الناصر، تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، مركز الحضارة العربية، ط1، القاهرة، 2005.

ثانيا/ المراجع المترجمة.

56. أرسطو، فن الشعر، تر: إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، دت.

57. جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، ط1، المغرب، الدار البيضاء، 1986

58. غلام حسين إبراهيم دينانى، حركة الفكر الفلسفي في العالم الإسلامي، ج2، تعريب: عبد الرحمان العلوي، ط1، دار الهادي، ط1، بيروت، لبنان، 2001.

59. رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، ط1، المغرب-الدار البيضاء، 1988.

60. غاستون باسلار، جماليات المكان، تر:غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2 ، بيروت-لبنان، 1984.

ثالثا/المجلات.

1. المجلة الجامعة، المجلد الثاني، العدد السادس عشر، أفريل، 2014، كلية الاداب والعلوم، صبراتة. د. ب.
2. مجلة الحوار الثقافي، مجلد10، العدد 01، 3-6-2021، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، الجزائر.
3. مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد 4، شتاء 1436هـ. قسم اللغة العربية، جامعة الخوارزمي.
4. مجلة عود الند، فصلية، السنة 12، العدد السادس، خريف 2017. مكتبة وارشيف الدكتور عدلي الهواري، السويد.

رابعا/ الرسائل الجامعية

1. بن بغدادأحمد، شعرية المكان في الشعر الجاهلي-المعلقات العشرأنموذجا-(رسالة الدكتوراه)، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس،2016.
2. رُلى يوسف صبحي عصفور، الرمز في الشعر الفلسطيني المعاصر، (أطروحة الدكتوراه)، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2013.
3. طشطوش عبد العزيز محمد موسى وآخرون، الزمن في الشعر الجاهلي، (رسالة الماجستير)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة اليرموك، الأردن، 1986.
4. فاطمة محمد السويدي، المنحى الوجودي في الشعر الجاهلي(صراع القيم وحب البقاء)، بحوث ومقالات، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2018.
5. كرد محمد، الشعر والوجود عند هيدغر، (رسالة دكتوراه)، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2011-2012.

6. مديونة صليحة، نظرية المحاكاة بين الفلسفة والشعر، (رسالة الماجستير)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر،2005-2006.

7. ملاك سعيد محمد شعبلو، رؤية الموت في شعر محمد القيسي، (رسالة الماجستير)، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، عمان، الاردن، 2016.

8. يوسفي سوهيلة، الرمز ودلالته في القصيدة العربية المعاصرة -قراءة في الشكل-خليل حاوي أنموذجا، (رسالة الدكتوراه)، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2017-2018.

خامسا/المواقع الإلكترونية

1. جدلية الزمان والمكان، عاصم شرتح، في قصائد (مشهد مختلف)، الحميد سعيد، الثلاثاء 10تشرين الثاني (نوفمبر)2015، diwan alarab.com

2. قصائد سميح القاسم، البيان قبل الأخير، قصيدة غوانتانامو.Konouz.com2022/05/03 موقع كنوز، ومنقولة كاملة من تسجيل بصوت سميح القاسم. قناة ترانيم وهي قناة تهتم بالأدب

3. سميح القاسم، «العنقاء» -ترنيمة حب وتقدير لثورة تونس-، مصدر الخبر: العرب أونلاين،12:47 https//www.Turess.com ،2021/27/11

4. ما لا تعرفه عن سيمح القاسم، www.arageek.com،

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة	أ
مدخل: الفلسفة والشعر	**4**
1-مفهوم الفلسفة	**5**
2-مفهوم الشعر	**7**
2-1-لغة	**7**
2-2-اصطلاحا	**8**
2-3-مفهوم الشعر عند اليونان	**9**
2-3-1عند أرسطو	**9**
2-3-2-عند أفلاطون	**11**
2-4-مفهوم الشعر عند الفلاسفة المسلمين	**12**
2-4-1-مفهوم الشعر عند ابن سينا	**12**
2-4-2-مفهوم الشعر عند ابن رشد	**14**
3-علاقة الفلسفة بالشعر	**15**
4-مفهوم الرؤية	**17**
4-1-لغة	**17**
4-2-اصطلاحا	**18**
الفصل الأول: القضايا فلسفية في القصائد الأخيرة لسميح القاسم	**20**
المبحث الأول: قضية الوجود والمصير الإنساني	**21**
1- مفهوم الوجود	**21**
1-1-لغة	**21**
1-2-اصطلاحا	**23**
2-الوجود في الشعر العربي	**26**
3-تجليات الوجود في القصائد الأخيرة لسميح القاسم	**28**
المبحث الثاني: الزمن والمكان في القصائد الأخيرة لسميح القاسم	**34**
1-الزمن	**34**
1-1-مفهوم الزمن	**34**
1-2- لغة	**34**
1-3-اصطلاحا	**35**

2-الزمن في الشعر العربي	**36**
3-تجليات الزمن في القصائد الأخيرة لسميح القاسم	**38**
3-1-الزمن الماضي	**40**
3-2-الزمن المستقبل	**42**
4-المكان	**46**
4-1-مفهوم المكان	**46**
4-2-لغة	**46**
4-3-اصطلاحا	**46**
5-المكان في الشعر العربي	**47**
6-تجليات المكان في القصائد الأخيرة لسميح القاسم	**50**
المبحث الثالث: الموت في القصائد الأخيرة لسميح القاسم	**54**
1-مفهوم الموت	**55**
1-1-لغة	**55**
1-2-اصطلاحا	**56**
2-الموت في الشعر العربي	**56**
3-تجليات الموت في القصائد الأخيرة لسميح القاسم	**59**
الفصل الثاني: التصوير الفني وتشكيل رؤية الشاعر	**69**
المبحث الأول: الصورة الشعرية	**70**
1-تعريف الصورة	**70**
1-1-لغة	**70**
1-2-الصورة الشعرية –اصطلاحا	**70**
2-الصورة التشبيهية	**71**
3-الصورة الاستعارية	**74**
المبحث الثاني: الرمز والصورة	**81**
1-تعريف الرمز	**81**
1-1-لغة	**81**
1-2-اصطلاحا	**82**
2-علاقة الرمز بالصورة	**83**
3-الرمز الديني	**84**

4-الرمز الأسطوري	**89**
5-الرمز الذاتي	**92**
خاتمة	**97**
قائمة المصادر والمراجع	**100**
فهرس الموضوعات	**109**
الملاحق	**103**

الملاحق

حياة سميح القاسم:

ولد سميح القاسم في مدينة الزرقاء الأردنية في 11ماي 1939، عاش طفولته في قرية الرامة (فلسطين)، ينتسب للعائلة الطائرة الدرزية، تعلم في مدارس الرامة والناصرة. وعمل مدرسًا، ثم انصرف لمزاولة النشاط السياسي في «الحزب الشيوعي» قبل أن يترك الحزب ويتفرغ لعمله الأدبي. متزوج من السيدة نوال وله منها أربعة أولاد (وطن، وضاح، عمر وياسين).

سميح القاسم أحد أهم وأشهر الشعراء العرب والفلسطينيين المعاصرين الذين إرتبط اسمهم بشعر الثورة والمقاومة، رئيس التحضير الفخري لصحيفة كل العرب، عضو سابق في الحزب الشيوعي، كما تميز عبر مسيرته الأدبية بغزارة إنتاجه الأدبي وتنوعه، فقد شملت أعماله الأدبية النثر والشعر والقصص والأعمال التوثيقية، وتميزت هذه الأعمال بتأثره بالنكبة والإنتفاضة الفلسطينية، كما أنه سجن أكثر من مرة ووضع رهن الإقامة الجبرية والإعتقال المنزلي، وطرد من عمله مرات عديدة بسبب نشاطه الشعري والسياسي، وهدد لأكثر من مرة بالقتل في الوطن وخارجه.

زار القاسم سوريا في 1997و2000ومُنِعَ من زيارة لبنان من طرف السلطات الإسرائيلية عام 2001.

من أبرز أعماله ديوان مواكب الشمس ودمي على كفي، الموت الكبير، سربية مراثي سميح القاسم، ورسائل محمود درويش وسميح القاسم 1989، وغيرها من الأعمال التي لاقت رواجًا كبيرا في حياته كما تحصل على عدة جوائز منها جائزة البابطين للشعر وجائزة غار الشعر من إسبانيا وجائزة نجيب محفوظ من مصر، وتحصل أيضا على جائزة الشعر الفلسطينية ووسام القدس الثقافية.

تولي سميح القاسم في 19 أغسطس 2014 بعد صراع مرير مع مرض السرطان إستمر لمدة ثلاث سنوات. ومن أشهر أقواله إخترت البقاء في بلدي ليس لأنني أحب نفسي بدرجة أقل، لكن لأنني أحب بلادي أكثر[1].

غوانتانامو

سميح القاسم

هنا يَفسُدُ الملحُ. يأسنُ ماءُ الينابيع. يؤذي
النسيمُ. ويعدي الغمامُ
هنا تُثلِجُ الشمس. مِبْخرةُ الثلج تشعِلُ شعرَ
الحواجب والأنف. تدنو الأفاعي. وينأى اليمام
هنا يسهرُ الموت في اليوم دهراً. وروح الحياةِ
تنام نهاراً ودهراً تنام
بكاءُ الرجال هنا. وبكاء النساء. ليضحك ملء

[1] - ينظر: ما لا تعرفه عن سيمح القاسم، www.arageek.com، 2022/06/07 على الساعة 11:41.

البكا لئامٌ لئام

هنا غوانتانامو..

وجوه وما من وجوهٍ. وصوتٌ ولا صَوْتَ. والوقتُ

لا يعرفُ الوقت. لا ضوءَ. لا همسَ. لا لمسَ.لا

شيءَ. لا شَمس. ليل.ٌوليلٌ يـُجبُّ النهارْ

وراءَ الجدارِ. وراءَ الحديدِ. وراءَ الجدارْ

هنا قلقٌ لا يفيق. هنا أرقٌ لا ينام

هنا غوانتانامو..

أتعلُم أمُّكَ أنَّكَ تذوي حنيناً إليها؟ أتعلُم أمُّكَ يا

أيها الأسير الغريبْ

أتعلُم أنَّكَ تلْمُح في الموتِ كفَّ الطبيبْ

أتعلُم أمُّكَ أنَّكَ في ربقةِ الأسرِ تحلُم حرًّا

بدفءِ يديها

وتبكي عليكَ. وتبكي عليها

وأنَّكَ تدعو وتدعو. وأنَّ السماوات لا تستجيب

لأنك في غوانتانامو

كلامٌ جميلُ عن العدلِ والظلمِ. والحرب والسلم.

في مجلسِ الحسنِ والصونِ والأمن. في

كافيتيريا الرصيف. وفي البرلمان. وفي

المهرجان. وبين القضاةِ. وفي الجامعات. كلامٌ

غزيرٌ. وحلْو

مريرٌ. وَمَرَّ الكرامِ يمرُّ عليه الكرام

ويرحل للراحلين المُقام

إلى غوانتانامو

يغنّي المغّني الأسير دماً. يا صديقي المغنّي

لجرحِكَ إيقاعُ هُجْري

لصوتكَ أوتارُ حزني

لموتِكَ ما ظلَّ لي من حياتي

وما ظلَّ للموتِ منّي

وكلُّ زمانٍ هلام

وكلُّ مكانٍ هلاُم
سوى غوانتانامو...
تقولُ الدساتيُر ما لا تقول البنادقْ
تقولُ المغاربُ ما لا تقول المشارقْ
تقولُ الأراجيُح ما لا تقولُ المشانقْ
يقولُ الأساطينُ في فنِّ قتلِ المحبَّةِ. ما لا
تقولُ أناشيُد عاشقْ
فماذا يقولُ لنا الإتهام؟
وماذا يقول لنا غوانتانامو؟
وكيف يردُّ الذبيُح على الأسئله
وماذا يقولُ لصاعقةٍ سُنُّبله
وماذا تقولُ الصبيَّة بعَد اقتناصِ أبيها
وكيف يجيبُّ الغلاُم
على غوانتانامو؟
لأنَّ دموع النبيِّين تنفعُ إن لم تعُدْ تنفع الآصرْه
وتشفع للُأمم الصابرْه
لأنَّ الخليقةَ أّولَ الأمرِ بالله. موعودةٌ
آخِر الأمرِ بالرحمةِ الغامره
لإيكاروس العصر حكمةُ ذيذالوس العصر..
O.kفهمنا الرسالة.لكنَّ أجنحةَ الطائراتِ
الرهيبةِ أقوى من الرِّيشِ والريحِ. أسْمَعُ من نبضةِ
القلبِ في قلعةِ البنتاغون القصيَّه
ويسقط إيكاروس العصرتسقطُ حكمةُ
ذيذالوس العصر.
بين المارينزِ وحاملة الطائرات العصيَّة
ويبقى الحلالُ. ويبقى الحرُام
ويبقى النَّزيفُ في غوانتانامو..
ومتى تسقطُ الكأُس من كفِّ يوضاس؟ أُيَن
الوصايا؟ وأين المرايا؟ أليس هنا أحدٌ؟ أين
أنتم؟ وهُم؟ أين نحنُ؟ وأيَن قُضاةُ النظامِ

الـجديدِ؟ ألم يفرغوا من طقوسِ العشاءِ الأخيرِ؟
ومن خِطـَّةِ الضَّربِ والصَّلبِ؟ أين رُعاةُ
الحقوق؟ وأين حُماةُ الحدودِ؟ ألم يشبعوا من
طعام العشاء الأخير؟ ألم يكفِهم جسدي
خبزهم ودمي خمرهم؟ يتخمون على رسلهم.
يثملون على رسلهم. يصخبونَ. وشاهدةُ القبْرِ
بينهم المائده
ووجبتُهم جثَّتي الخامده
هنا غوانتانامو
منا تتهاوى النواميسُ.يسقُطُ سرُّ اللغاتِ. هنا
تتشظـَّى الجراحُ. هنا تتلظَّى الرياحُ. متى
تنهضُ الشمس من قبرها؟
متى تسفر الأرضُ عن فجرها؟
وسادة نومي تضج
هنا غوانتانامو
وفي قهوةِ الصّبحِ أفعًى تفحُّ
أنا غوانتانامو
وفي كتبي غوانتانامو
وفي تعبي غوانتانامو
وفي غضبي غوانتانامو
وقلبُ هافانا يئِنُّ
كفى غوانتانامو
وأسماك قرش كريبِ
كفى غوانتانامو
وحاضِرةُ الفاتكان ورجع الآذان وعيسى وموسى وبوذى
كفى غوانتانامو.

العنقاء

سميح القاسم

"ترنيمة حب ووفاء للشهيد الحيّ محمد البوعزيزي"

ميعاد اللون تلكأ.. وانطفأت جمرته

شاخ قماش اللوحة. ثقبت وجه الرسام وكفّيه

ألسنة النار

أاللوحة قشرة لوز مرهقة

والريشة... منقار

فارسم يا نقار الخشب.. وماذا ترسم؟ كيف وأين سترسم

صار قماش اللوحة

محض جدار. بعد جدار. خلف جدار....

***

إس .إم. إس

إس. أو. إس

من كل الثّوار إلى كل الثّوار

من موقع رادارات الإنترنات إلى غرفة عمليّات الفيس بوك...

يبتدئ الطقس ليكتمل الطقس

إس. إم.إس

إس. أو. إس

منها. منك. ومنّي

لفراشات الحقل الناضج بالخصب الطازج بالماويّه

لسبايا الحكم ضحايا معتقلات الفاشيّة

لدمي.. يبكي ويغنّي

محتقنا. مضطربا

بين يدي حزني

وعذابات حياتي اليومية

ويصلي للغائب عنّي

والحاضر في عنقائي الأبديّه

عنقاء رمادي البيضاء السوداء الخضراء الحمراء العربيّه

حاضنة تحت جناحيها أحلام الإنسانية

وخلايا روحي تشتغل عذابا وحنينا

لنشيد الأمميّه

بين نباتات الصحراء اليابسة.تدحرجها ريح الآلام الشرقيّه

في أحزان الكثبان المنسيّه

ميّتة. منفيّه

لكن البذرة. في قشرتها الصلبة مازالت حيّه

ألبذرة مازالت حيّه

وشظايا جسدي تبكي وتغنّي

وتصلّي للحاضر فيها والغائب عنّي

خلف الآفاق السريّه

ورمادي تحت الأنقاض يجادل

تنثره قطعان وقبائل

والحائط مائل

وأقاوم وأقاتل

والليل يماطل

والشمس تماطل

والغضب يماطل

وذراع الحقّ تكبّلها أذرعة الباطل

والحابل يذبحه النابل

ضيق ومضيق،

وتضيق الحلقات على حشرجة الأعناق وتمتدّ

سلاسل

قطرا قطرا

بيتا بيتا

"زنقه"

"زنقه"

من دست الحكم إلى حكم من قاع الدست،

هناك هنا وهناك يفرّخ كابوس سائب

وتهيج تموج تعجّ تضجّ

سرايا ميليشيا وكتائب

من باب البنك إلى جدول أسعار البورصة. من بئر البترول

إلى منجم قصدير ونحاس حتى مقبرة الأجداد ومقبرة الشهداء

من موجب دست الحكم إلى السالب

درب مرصوف بعظام الفقراء

ودموع الشعراء

وصلاة الغائب

ومدى مصبوغ بدماء الناس البسطاء

في دست الحكم تصول أفاع وتجول عقارب

ولصوص وبغايا وعبيد وأجانب

وكلاب وذئاب وثعالب

هيذي أعياد القمع المفترس هنا عرس البغضاء

ألغابة دست الحكم،

ونير رقاب العامل والفلاح. وحزن الراعي

والجندي العاطل. والغابة مريول التلميذة،

وكتاب الطالب

وغياب الآتي في موت الذاهب

والله الغالب

ألله الغالب

ألله الغالب

بسم الله تكون الوردة والشوكة. ويكون النور،

وليل داج

باسم الله رغيف الخبز. وباسم الله،

سماء الحرّية ذات الأبراج

باسم الله قلوب تخفق

قال الله

وشمس تشرق

والإسراء لأقصى الثورة والمعراج

باسم الله يضئ القلب بجرح سراج

باسم الله يشبّ الشعب ويهدر في غضب الأمواج

يا مبتدأ السيل وحدّ الليل ويا خاتمة الويل... كفى

"ديغاج"

إمش.."ديغاج"

وتفضّل وتسهّل وارحل

في ستّين "ديغاج"

من جربا.. حتى قرطاج..

ديغاج . ديغاج .ديغاج..

***

أعرفها من ألف قديم

أتقنها عشقا قبل بدايات التقويم

تفّاحة وطني

طفلة فينيق الأولى

دالية الساحل،

تونس..أعرفها .تعرفني

أطبع شفتّي على كفيها. أحضنها. تحضنني

وضفيرتها إن رضيت شالي

وعباءتها لو شاءت كفني

تونس

ماء، خضراء، ووجه حسن

غنّت مطربة

"بتونّس بيك"

غنّيت أنا... "بتّونس بيك! "
بتّونس بيك"
يافارس تونس
ياعنقاء العرب الكبرى
ياموّال العرب وأغنية البربر
وتفضّل وتسهّل وارحل
في ستّين " ديغاج"
من جربا ..حتى قرطاج..
ديغاج. ديغاج .ديغاج..
***
أعرفها من ألف قديم
أتقنها عشقا قبل بدايات التقويم
تفاحة وطني
طفلة فينيق الأولى
دالية الساحل،
تونس ...أعرفها. تعرفني
أطبع شفتّي على كفّيها. أحضنها تحضنني
وضفيرتها إن رضيت شالي
وعباءتها لو شاءت كفني
تونس
ماء، خضراء. ووجه حسن
غنّت مطربة
"بتونّس بيك"
غنّيت أنا.. "بتّونس بيك! "
بتّونس بيك"
يافارس تونس
يا عنقاء العرب الكبرى
يا موّال العرب وأغنية البربر
ونشيد الوطن الأحلى والأعلى والأغلى
يا غصن النار الأخضر
وصديق البرقوق الأحمر
ياروح أبيك
وحبيب أخيك
يا شغف النخلة بالزيتونة
نبل جواد عربّي
عزّة عرف الديك
يا البوعزيزي
بتّونس..بيك"
في حسرة قهري في جمرة شعري
..ياولدي باسم "محمّد"
يا كفّارة تاريخي المجهد
ياراية نور تسطع من قنديل الزمن الأسود
في أحزان الشعب وفي وجدان الشعب
في قلب القلب
يا البوعزيزي
ربّي. في جنّة جنّته. يحميك
ربي. يحميك..
***
طوبي ليدين من الزيتون
لفم موشوم من زهر الليمون
طوبي للعينين الحالمتين بما سيكون
..للنار القدّسية. لملاك الثورة،
يشهر أسراره
ويكّرس إصراره
يا لهب الروح الصاعد من ألف مراره
ومراره
ناست من نارك في عتمات الكون شراره
أحرقت اليابس والأخضر في وهم الطاغوت
وأضاءت أبهاء الملكوت
بطقوس نضاره

وشموس حضاره
من "سيدي بو سعيد" إلى "بنغازي
من تطوان إلى وهران إلى حوران،
أضاءت حزن المنزل والشارع والحاره
من ليل الفسطاط إلى صنعاء إلى بغداد
إلى بيروت
وعلى موسيقى القهوة والدلّة والمهباج
"إمش بقي.. إيدي وجعاني"
"إمش ..ديغاج"
إمش.. ديغاج"
***
بشعاع لهيبك تغزل طرحتها الشمس
في نور لهيبك يبصر قلب الأمّة،
وجه القدس
وصليب القدس
ويباغت غضب الجنّ هموم الإنس
وتجيش تجيش تجيش النّفس:
في أي غد ترتاح جراح الأمس؟
يا ابني وأبي وأخي وصديقي ورفيقي
يا البوعزيزي،
للهيبك طقس يشفينا من داء الطقس
فانهض من موتي في موتك. وانهض بأغاني
العرس
في حفل قيامتنا، وحجيج الحجّاج
وصلاة شعوب تبعث برمادك،
في ظلّ صليب الحلاّج!
***
من قاع الجبّ الموصد صحت وقلت لكم
يا كلّ عيال الله. وقلت لكم:
سرّ الماء يعانق سرّ النار
وبحنجرتي المذبوحة في ليل المعبد صحت
وبحت لكم:
عطش الصحراء يكافئه جود الأمطار
قلت لكم: تتكشّف أسرار الأسرار
يتهاوى صدأ الأسلاك الشائكة، يقينا
وعلى رأس مشّيدها تنهار الأسوار
قلت يقينا قلت لكم:
لمزابلكم قيد السجان ومشنقة الطاغية الجّبار
والحكمة قالت
والعبرة قالت
والثورة قالت
هذا زمن البركان الثائر والزحف الطاهر والظافر
"زنقة"
"زنقة"
والمستقبل كل المستقبل للحرية والأحرار
قلت لكم: لا سحر تحصّنه الأبراج
لا سرّ تخبّئه الآبار!
ونقصّو نحن لياليا
لتطول أحاديث السمّار
وسنصعد نصعد نصعد،
أفواجا تسندها أفواج
وسنصعد. أنقاض الطاغوت سلالمنا
وركام الجبروت الأدراج
"ديغاج .ديغاج. ديغاج.."
***
عاصفة كنّا
عاصفة تتمنّى
عاصفة تتألّق في أوج شباب الأحلام
أيدينا اشتبكت أوهاما تصطاد تلابيب الأوهام
وعدتنا فرحا في أعياد النّصر خطابات الحكّام

زفّ إلينا البشرى صوت فريد الأطرش في حلم " بساط الريح"
غنّينا وطربنا وعزفنا واستنزفنا شبق الأيام
وجميع الإيقاعات وكلّ مقامات الموسيقى
والأنغام
ألشّعر صحيح
أللحن صحيح
ألصوت صحيح
لكنّ الصورة واضحة فاضحة جارحة فادحة
كرباج زنيم طاغية. وصليب مسيح
والحزن شجاع وصريح
والجرح يصيح
في سخرية الّنصل على شريان ذبيح
والقيد الكابوس يشدّ الأعناق إلى الأقدام
ضجرت
تفاحة آدم ضجرت
تفاحة حوّاء انفجرت
والدنيا من رحم الشدّة خرجت
شقّت بسيوف النار طريق الرؤية والرؤيا
وانفرجت
والدنيا زرعت
حصدت
غرست
قطفت
والدنيا نضجت
ولهيبك كان الطّباخ الماهر
يا ولدي
يا بلدي
يا البوعزيزي
يا صورة بركان الغضب الثائر
في معنى الإنسان المقهور القاهر
ياروح أبيك
وحياة أخيك
في الملل المعتم والقلق الكافر
وأنا ..بْتّونس بيك"
يا البوعزيزي
بْتّونس بيك.."
***
أرهقني حزني
وأنا أرهقتك بالحزن المتفاقم.. معذرة
معذرة سيّدة الآلام
يا أم الشهداء وقابلة الأيام
عفوا عن وقت العرب الضائع في الزلّة والهفوه
والنكبة والنكسة والركسة
وفناجين القهوه
والسكرة والرقصة والسحجة والغفوة
عفوا عن إدمان الأحلام
وركون الأمّة للزمن الأمّي... وعفوا
عن عهر النخبة وفجور الصفوة
عفوا عن صمت الأقلام
في ضجّة محظّيات الطاغوت وخصيان الأزلام
عفوا يا أم محمد
عفوا يا تونس
وعزاء الغضب الطاهر في نار طاهرة تتجدد
في ذاكرة الشعب الطّيب
في المغرب والمشرق والمشرق والمغرب
وضمير الإنسان المحروم الطيب
والإنسان الإنسان المتأهّب
لشهادة روح شاهقة
أعلى من شهوات الأصنام

والصرخة لا تهدأ أبدا لا تهدأ
وأنا بدمائي أتوضأ
وأصلي في مأتم من خانوا الأرحام ومن باعوا الأرحام
وستبدأ . تبدأ يوما
كي تبدأ دوما
ألثورة تبدأ تبدأ تبدأ!
ما عدنا قطعان جمال ونعاج
ديغاج
يا كل طغاة العالم
ديغاج
يا كل غزاة العالم
ديغاج. ديغاج. ديغاج
***
كيف يسّمون الأشياء؟
كيف يسّمون الأشياء المولودة في قلق الأشياء؟
كيف يسمون المولودة من نطفة نار في حّمى الأسماء؟
وجحيم يتفشى من أقصى الألف إلى أقصى الياء؟
في الهند وأمريكا في أوروبا والصين
سّموها ثورة " جاسمين"
لا بأس
الشمس هي الشمس
والثوار هم الثوار ولا فرق ولا فضل لجنس أو عرق أو دين
إلا بالثورة
ورفيف الرايات الحّرة
ثورة جاسمين
يا سمين
ثورة لوتس
ثورة تفاح. جرجير . يقطين
لا بأس
ألشمس هي الشمس
والثورة تستقبل ثوره
والفكرة تستولد فكره
والحكمة والعبرة
تونس حرة
إطلع برّه
إمشي. ديغاج
وبلا فلسفة وبلا هرطقة وبلا دروشة وبلا قروشة
إمش..ديغاج..
***
في لثغة طفل تتفتح أزهار حديقه
وعلى ورق السنبلة الغضّ تميس أغان
وعلى أجنحة فراشات الورد ترفّ أمان
والنّبع يغرغر بتباشير حقيقه
سامحني الله على قلقي
قلقي المتسلل من أعماق الغابة
يشعل في عطش الأعصاب حريقه
من يحمي قلب الزيتون ومن ينصف شرفات الورده
من ينقذ عنقي من سطوة سكين الوحده
من يسعفني في قلق الحّمى
ويدثّرني بحنان البرده
من يسعفني
يا وطني
من ينصفني
من يدفع عني أيام الشدة
وفلول الردّة

من يأخذ بيدي في زمني الصّعب
من ينقذني من خسّة يوضاس
ويجنبني آلام الصّلب
من يا ناس؟
يا أهلي العرب ويا كلّ الأجناس
من ينجدني في قدس الأقداس
وأنا أنهض مذبوحا في وجه عصابات المحتل
وأقاوم زحف الأفعى والليل
وأصيح " أعوذ برب الناس"
"من شر الوسواس الخّناس"
في الزمان المخبول المختل...
***
من يقرأ هذا السّفر ليجترح الإيمان؟
وليعلن في كل جهات الأرض العصيان؟
من يتنفس هذا الحبر؟
من يقرأ هذا السفر؟
سفر التكوين تعيد صياغته عينان
وفم ويدان
ويعيد كتابته الإنسان
سفر التكوين : لكل شعوب الأرض وكل الأوطان
يتجدد في قلق الحبلى
في غضب الحرّ على السّجان
في الزهرة. في سنبلة القمح وفي عنقود العنب
وفي حبّ الرمّان
يتجدد في حزن القتلى
أضغاث الموت الطارئ تحت غبار الميدان
سفر التكوين يجدد دورته الدمويّه
ملء جهات الكرة الأرضية
ويعيد صياغته رجل وإمرأة ...زوجان
وسفينة نار البوعزيزي
وسفينة نوح
والطوفان!
***
حسنا . أو .كي. لابأس
جسّ القاتل نبض الشارع
مازالت في الجثّة روح
حسن الطالع..سوء الطالع
فضحت سكّين القاتل عنق المذبوح
في الوردة روح
في روح الوردة برق رعد أمطار وزوابع
حسن الطالع ...سوء الطالع
في سنبلة الثورة روح
وجه المغدور جميل وبهّي ناصع
وعلى أهداف العينين المطفأتين
فجر ساطع
يا ليلي يا ليلي يا عين
يا فرح الحزن وحزن الفرح ترى من أين
هذا الشريان النابض بمدار القطبين
ياليلي. ياعيني. يا ليلي. يا عين!
زبد الطاغوت جفاء
ورمادك وترابك يمكث في الأرض لينفع كل الناس
من كل الأعراق وكل الألوان وكل الأجناس
ياولد العرب الأجمل
يا بلد الغضب الأولّ
يا طعم التّمر ولون الزيتون ورائحة الجعساس
يا البوعزيزي ...صاح أبوك "هرمنا"
صاح أخوك "هرمنا"
صحت "هرمنا"

صاح الوطن "هرمنا" وظفرنا
صاح الشعب "هرمنا" ياولدي
لكنا يا بلدي
ما هنّا يا البوعزيزي. فاعذر
ما خنّا واغفر
قاومنا . وخذلنا وانظر
قاتلنا. وقتلنا. وقتلنا واذكر
وربحنا . وخسرنا في ضوء لهيبك أبصرنا
وظفرنا . وكسرنا وجه الوطن ووجه الشعب ووجه الوجه
لكن ...قاومنا ...قاومنا ووجه الله
وشهدنا. واستشهدنا سبحان الله
وهزمنا . وهزمنا أين الموسيقى .فسأرقص
لكن قاومنا هاتوا الموسيقى. فسأرقص
وأعادوا . وأعدنا في ساحات الوطن الإنسان وفي ملكوت الله
وصمدنا وسأرقص في عرسك يا البوعزيزي،
وقاومنا في عرس الثورة
وبنور لهيبك أبصرنا ما أحلاه وما أبهاه
وأعادوا الكرّة . وأعدنا تحت سماء الرايات الحرّة
وصبرنا وسأرقص .أرقص .أرقص
ثرنا. ثرنا. ثرنا ارقص .أرقص .ارقص..